عُجَالَة مُقتَطَفَة

مِنْ أقلامِ أفاضِلِ العُلَمَاءِ وَالدَّكَاتِرَة
في حيَاةِ الإمَامِ الجَليلِ الأستَاذ

بَديع الزمَان سَعِيد النُّورْسِيّ

رَضيَ اللهُ تعَالىَ عَنْهُ



رتَّبهَا الملا

محمَّد زاهِد الملازكِردي

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

عُجالة مُقتطفة

مِنْ أقلام أفاضِل العُلماء والدَّكاتِرة

في حيَاة الإمَام الجَليل الأستاذ

بَديع الزمان سَعِيد النُّورْسِيّ

رَضيَ اللهُ تعَالى عَنه



بديع الزمان : الأستاذ الرائد، والشجاع الذي يهابه الموت . .

عاصم الحسيني

بديع الزمان : بكلمة واحدة معبِّرة : المجاهد . .

الشيخ محمّد أمين قره علي

بديع الزمان : مجدّد القرن الرابع عشر الهجريّ . .

محمّد زاهد الملازكرديّ

بديع الزمان : الداهية الكبير، والمؤمن العظيم . .

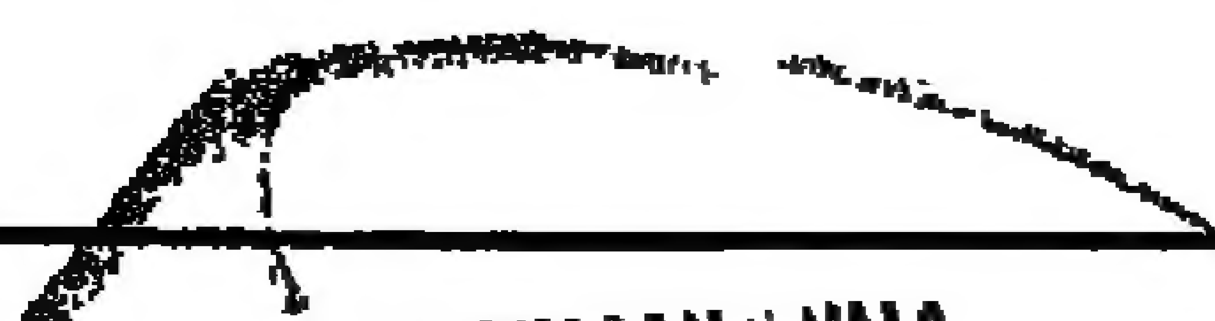
الدكتور محمد سعيد البوطيّ

بديع الزمان : رائد الفكر الإسلاميّ الحديث . .

الدكتور محسن عبد الحميد

عجالـة اقتُطِفـت من أقـلام أفاضـل العلماء والدكاترة ، من حياة الإمام الجليل الأستاذ بديع الزّمان سعيد النورسّي ، رضي الله تعـالى عنـه ، استعجلناها بمناسبة شروع رسائل النور في النشر باللغة العربية . وقد قامت بنشرها دار الآفـاق الجديدة مشكورة مع كل العاملـين فيهـا ، وفي مقدّمتهم صديقنا العزيز الأستاذ زهير بعلبكي وفّقه الله لما يحبّ ويرضاه . .

جمعها ورتّبها محمّد زاهد الملازكرديّ . . .



تقديم لصديقنا العزيز فضيلة الشيخ
خليل الميّس مدير أزهـر لبنـان ، وفقـه
الرحيم الرحمان . . .

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

آن الأوان لنصرة الإمـام :

روى أبو داود في سننه ، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها)[1] ولا يكون المجدِّد إلاّ عالماً بالعلوم الدينية الظاهـرة والباطنـة ، ناصراً للسنّة ، قامعاً للبدعة ، ثم قد يكون المجدِّد واحداً في العالم كله ، كعمر بن عبد العزيز لانفراده بالخلافـة ، وكالامـام الشافعيّ لإجماع المحقّقين على أنه أعلم أهل زمانه . . . وقد يكون اثنين ، وجماعة إن لم يحصل الإجماع على عينه . .

---

(١) ابو داود في سننه
والحاكم في المستدرك
والعراقي في تخريج أحاديث الأحياء . وقال : إسناده صحيح .

وإنّما كان التجديد على رأس كل مائة سنة ، لانخرام علماء المائة غالباً ، واندراس السنن ، وظهور البدع . فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين ، فيأتي الله من الخلف بعوض عن السّلف . وعلى هذا المعنى ينزل قول النبيﷺ : (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ)(٢) .

وفي هذا الإطار يمكننا التقديم لمجموعة من أعمال الإمام العلاّمة بديع الزمان سعيد النُّورْسّي . هذا وإن كان التعريف بالرجال يستدعي الوقوف على تاريخ حياتهم والنظر فيما خلفوه من فكر وأعمال . . فإنّ الإمام النُّورْسي

(٢) الترمذي والحاكم في مستدركه كلاهما عن عمران بن الحصين . والسيوطي في الجامع الصغير تحت رقم (٩٧٧٠) والبغداديّ في الفقيه والمتفقّه جـ ١ / ٢٦و٥ والمناوي في فيض القدير (جـ ٦ / ٣٩٥) .

يزيد على أعمال الرجال أن آثاره ليست فقط كلاماً حوته مصنّفات بلغت أسفاراً ، بل يضاف عليه ما حوته صدور الرجال من أتباعه ، وتلك المدارس المبثوثة على اتّساع أراضي تركية ، وكأنّها متشبّثة بخيوط نور شمس الخلافة الإسلامية أن لا تغيب عن الأرض بالكلّية . . . وفي الوقت الذي تمالأ أهل الأرض جميعاً على سلطة آخر حلقات الخلافة الإسلامية ، وانقضّ الأكلة على قصعتنا ، انبرى الإمام النُّورْسي رجل السيف والقلب والقلم ، يذود بسلاحه عن الأرض ، وبلسانه عن الشريعة ، وبقلبه عن الحقيقة ، في غير ميدان وجبهة قتال . . . وكم كانت ظروفه قاسية وصعبة ، حيث كانت البطولة التي تمثّلت فيه تعتبر خيانة في نظر من (!!) أنها في نظر حكام البلاد التي قاتل هو دفاعاً عن شرفها ، وحفاظاً على كرامتها . . . وعقد الحكام في سبيل ذلك غير مرّة هيئة المحكمة ، لتحاكم البطل ، المجدِّد . . .

وكأنّه وقف متمثّلا بيوشع بن نون عليه السلام ، ليقول للشمس : قفي بإذن الله ، حتى يقضي على الأعداء . واستجاب الله دعاءه ، ومكّنه من الكفّار . . .

أمّا الإمام سعيد فيحاكم غير مرّة في الوقت الذي كان ينبغي ـ وبمنطق الوفاء والتقدير ـ أن يُكرَّم لا أن يتّهم .

وكان دفاعه عن نفسه وبنفسه دفاعاً عن الإسلام والمسلمين في وقت عزّ النصير لدين الله ، وتنادى دعاة القومية من أطراف الأرض واتخذوا منها طواغيت تعبد من دون الله تعالى .

والآن : أين الذين حاكموا سعيداً ؟ . . وأين سعيد المُحاكَم ؟ . . أما الذين حاكموه فمضوا إلى عدل الله . . وأمّا سعيد فحفظته القلوب . وستحفظه بإذن الله تعالى كما حُفِظ الأئمة من خلال تراثهم العظيم الذي خلفوه لنا . وكان التأسّي بهم ، والتشبّث بتراثهم عاملاً مؤثّراً في الحفاظ

على كيان الأمّة ، وضمان استمرارها . .

التجدد في حياة المجدِّد : من يتتبع حياة الإمام النُّورْسي يرى التجدد المستمرّ في حياته . وهذه هي سمات الأئمّة المجتهدين الذين تتجدّد آراؤهم وأساليبهم . .

ومن هذه النافذة يطلّ إمامنا على منهج الإمام الشافعيّ حيث عرف له مذهبان قديم وجديد . .

وإن الإمام بديع الزمان سعيد النُّورْسي كان في قديمه جديداً ، وفي جديده أكثر تجديداً للأسلوب وتطويراً له . . ففي قديمه كان ينظر بعين الشريعة . . وفي جديده أكرمه الله تعالى بمنظور الحقيقة . . وكلاهما حق يبتغى ، ومنهج يسلك . وجمع فيه نفاذ البصيرة ، ومضاء العزيمة ، وصلابة الموقف . فكان أمّة في رجل لم تزده الصعاب إلا إصراراً على موقفه الثابت ، ودفاعاً عن رأيه الصائب في مواجهة تيّار عاصف ، وفتنة تغيّرت معها معالم تركية التي

حمل أبناءها على التنكر لتاريخهم ودينهم لفترة من الزمن . . وحلّت العصبية المقيتة مكان الدين الحنيف . .

الإمام سعيد النُّورْسي (رض) والإمام الغزاليّ (رض) (٥٠٥ هـ) :

إنّ الإمام الغزالي توجّه في مصنَّفاته إلى الخاصة والعامة ، وأوقفنا بنفسه على مقصده في التأليف والمواضيع التي عالجها . . بل والأسماء التي اختارها لبعض مؤلّفاته . . وبخاصة كتابه الموسوم بـ (إحياء علوم الدين) حيث نلحظ من خلاله سعيه في انبعاث القيم والعلوم الإسلامية في المجتمع الإسلاميّ للقرن الخامس الهجريّ . . فبسط العبارة ليقترب من أذهان العامة ، كما خاطب الخاصة في (التهافت) وغير ذلك . . ويبدو أنّ الغزالي أصاب مرماه . . وبقي إرثه ينبض بالحياة والإحياء منه بالذات مادة علمية شاملة وقريبة المنال ينهل منها العامة والخاصة منذ تسعة قرون . . .

وإنّ الإمام سعيد النُّورْسي ، وإن شارك الغزالي في منهجه من حيث المبدأ ، وفي الأسلوب أحياناً ، إلاّ أن الأعماق التي سبر غورها قد انفرد بها دون سواه . والمتصفح لما كتبه سعيد الجديد سيجد مصداقية هذه الدعوى . . ولئن حفظت كتب الغزالي علمه ومنهجَه ، لكن سعيداً الإمام يحمل فكرة أمّة ومدرسة وتلاميذ أوفياء له ولفكره ولقصده . . وها هم اليوم قد نذروا أنفسهم وتفرّغوا لنشر رسائل النور في العالم الإسلامي ولأوّل مرّة باللغة العربية التي انتظم بها آيات القرآن الكريم . . وستأتي أيّام ـ إن شاء الله تعالى ـ تعالج الأقلام هذه الأفكار ، وتزيد في تبسيط الأسلوب لتقرّب المعاني من أذهان العامة . . وعندها تتحقّق بإذنه تعالى أمنية الإمام بديع الزمان ، وتسطع شمس الشريعة من جديد كما أحبّ وأراد بإذن الله تعالى . . .

وإنّ إخراج الرسائل ومجموعة أعمال الإمام سعيد

النـورسي كاملـة ولأول مرّةٍ سيكون عامـلَ إثـراء للفـكر الإسلامي ومادّة غزيرة تستوجب على المفكّرين والمصلحين أن يتناولوها بالبحث لاستخراج مكنون أفكارها التي تعود على المسلمين عامة، والمثقفين خاصة، والدعاة منهم بوجه أخص بالخير العميم والنفع الكبير، لأنها تخاطب العقل والقلب في آن واحد . . .

وإنّني أتطلّع إلى المستقبل القـريب حيث تنـال هذه الرسائـل والأبحـاث نصيبهـا من الخدمـة في الجامعـات الإسلامية ، وذلك من خلال توجيه الباحثين والراغبين بنيل الدرجات العلمية : بأن يعدّوا طروحاتهم العلمية حول آثار الإمام بديع الزمان سعيد النُّورْسي . . .

وإنّ الوقائع أثبتت أنه لو لم يتوفر للأئمة من يحمـل علمهم عبر القرون لحُرِم الناس من ذلك العلم . . بل كم افتقد المسلمون من علم السلف الذين لم يتوفر لهم تلاميذ

يحملون علمهم .

وإنّا في هذه الأيام نعيش ـ وعلى الرغم من التحديات التي تواجه الإسلام ـ صحوةً مباركة عامة وشاملة . . وإذا ما نالت هذه الرسائل حظها من الخدمة ، ستسهم بإذن الله تعالى ـ وبقسط وافر ـ في إنفاذ رسالة الحق ، وخاصة أن الظروف التي عانى منها الإمام سعيد النُّورْسي وعالجها لا تزال قائمة . . . ولكن الذين اتهموا سعيداً هم المُتَّهَمون في أيّامنا . . وإن ما سعوا إليه تبينّ زيفه وبطلانه . وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ . . ﴾ .

الشيخ خليل الميّس
مدير أزهر لبنان

غرة محرم الحرام سنة ١٤٠٤



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رضي الله عنه ، إذ نجا من الأسر
بروسيا ، بشكل عجيب ، فوصل إلى ألمانيا عام (١٩١٨) م. والتقطت
صورته هذه من جانب الألمانيين . . .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في أواسط عمره ، ومعه ابن أخيه
عبد الرحمن بزيهما الوطني ، في إستانبول بعد الحرب العالمية الأولى . . .

نموذج من تصوير
مجاهدة الإمام بديع الزمان
سعيد النورسي رضي الله عنه

تقديم لأخينا العزيز عاصم الحسينيّ الحائز على درجة الماجستر حفظه الله تعالى ، قدّمه لرسالة « رسائل النور لا تنطفىء » . .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في لحظة من لحظات الغفوة المريرة التي أطبق كراها على جفون أمتنا الإسلامية المجيدة ، وجدت قوى الشر والفساد ، الفرصة سانحة لتنفيذ خططها المبيّتة ، وتحقيق مآربها الخبيثة ، في تفكيك وحدة الاسلام ، وتشتيت شمل المسلمين ، والنيل من مقدّساتهم التي دافع عنها أجدادنا البواسل مئات السنين ، ورَوَوا بدمائهم الزكية كل شبر ، وكل ذراع من ترابنا الإسلامي الطاهر ، بعد أن أضاؤوا جنبات الأرض بقبسات الحق ومشاعل النور والإيمان ، ونشروا فوق ربوعها أنبل وأعمق المفاهيم الإنسانية الرفيعة التي لم تَدُرْ قط في خلد متخرصي اليوم وأسلافهم ، من دعاة الحرية والعدل والإخاء والمساواة ،

وما إلى ذلك من الشعارات الجوفاء . .

لقد جَرَّب أعداء الإسلام المرة تلو الأخرى ، حظهم من مباغتة المسلمين ومقارعتهم ، سواء في عقر دورهم أم في أقطارهم المتفرقة . ولم يكن نصيبهم من ذلك كلّه سوى الخيبة والاندحار . وذلك بفضل تعاضد المسلمين وتساندهم وتكاتفهم ، وبفضل صمود وصلابة أبناء هذا الدين النجباء ، الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية والبذل والفداء .

وقد علم أولئك الأعداء بعد طول حنكة وتجربة أن لا سبيل الى بلوغ غايتهم ونيل مآربهم إلا بواحد من أمرين : ضرب المسلمين من الداخل ، أو ضربهم بعضهم ببعض . ولكي يتحقق هذا أو ذاك ، لا بد أولاً من انتهاز فرصة من فرص الغفلة التي قد تجود بها الأيام ، أو تسوقها إليهم يدُ الأقدار .

وهكذا ـ وبعد انتظار غير طويل ـ تمّ لهم ما أرادوا . . وقد حالفهم التوفيق في تحقيق ذينك الأمرين معاً :

وُفِّقوا أوّلاً من ضرب المسلمين من الداخل ، وذلك بنشر مبادئهم ، والترويج لأفكارهم الزائفة ، والطعن ما أمكن في المبادىء الإسلامية السامية ؛ سواء عن طريق حملات التبشير المنظّمة ، أم تحت ستار ما سموه بالدراسات العلمية الموضوعية ، أو البحث العلمي الحرّ . . حتى تربّى على أفكارهم ومبادئهم ، شرذمة من الأعوان والعملاء الذين يعيشون بيننا ، ويرضعون لبان ثديي ثقافتهم ، ينطقون بألسنتنا ويفكرون بعقولهم . . فلم تكن هذه سوى مقدمة للخطوة الثانية ؛ ألا وهي ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، حيث شاع فيهم روح التنابذ والتناحر ، وتمكّن منهم داء التعصب للأعراق والألسن والأنساب ، وهم أبناء القبلة الواحدة والملة الواحدة ،

ناسين أو متناسين قول الله تبارك وتعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »[1] ، وقوله سبحانه تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا . . . »[2] .

فكان من نتيجة هذا وذاك ، أن تفرقت وحدة الكلمة ، وانفرط عقد التكاتف والتساند ، وتجزأت الأقطار الإسلامية الموحّدة ، إلى دويلات أو شبه دويلات ، مما أتاح لأولئك الأعداء ، فرصة لتحقيق ما هو أبعد من الحلم وأغرب من

(١) الحجرات ١٣ .
(٢) آل عمران ١٠٣ .

الخيال : أعني فرصة الغزو والاستعمار ، غزو بلاد الإسلام واستعمارها . نعم : ولم لا . . خصوصاً والثغور مفتّحة الأبواب ، وفي القلوب المتناحرة ملجأ للإيواء والاستيطان ، وفي العقول المتخمة بفئات أفكارهم ، وسط ملائم للتقوقع والتفسخ والإفراخ . وهكذا وجدنا أقطاراً إسلامية محكومة برمّتها من قبل الغير ؛ وأخرى تحكمها أناس لا حظ لهم من الإسلام سوى الاسم ، ولا علاقة لهم بالمسلمين سوى الانتماء الى الأوطان .

حدث هذا في جميع الأقطار الإسلامية تقريباً ، إلا أن ما حدث بتركيا المسلمة ، كان أمرّ وأدهى . ذلك ، لأن الدولة العثمانية كانت الممثّلة الرسمية للخلافة الإسلامية آنذاك . وكانت القسطنطينية محط أنظار أعداء الإسلام من كل صوب ؛ إذ لم ينس أولئك الأعداء ـ وما كان لهم أن ينسوا ـ ما تركها فتحُ آخرِ وأكبرِ قلاع الصليبيّة في صدور أجدادهم من جروح وآلام . . ولقد سمّوا الخلافة العثمانية بمختلف

الأسماء ، وأتهموها بشتّى الاتهامات . ولكن الغرض كان معروفاً ، والهدف واضحاً ومحدداً . .

وحدث في تركيا المسلمة ما حدث ، بيد أنه لعل من أهم وأخطر ما حدث ، هو الحيلولة دون الشعب التركي المسلم ، والتمتع بذخائره الروحية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانه الفردي والجماعي . وهي عنده قبل كل شيء وفوق كل شيء . . بل ولعلها أعز وأنفس ما يملك في حياتَيْه الدنيا والقصوى . وقد بُذِلت محاولات غاشمة لإسدال ستار من الكتان على ذخائره الثمينة تلك ، وحمله قسراً وبشتى الوسائل على التنكر والنسيان لماضيه المجيد الذي سجل فيه أروع آيات البطولة والتفاني في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفع راية القرآن . وانطلقت ألسنة المأجورين والعملاء، لتروّج للزندقة والإلحاد ، وتعلن قيام الكفر في وضح النهار . هذا في الوقت الذي خرست فيه ألسنة كثيرة كانت ترى في نفسها ، الناطقَ باسم الإسلام ، والذائدَ عن

حياضه ، والساهرَ على حماه ، من أن تنتهك أو تستباح . وساد سماء تركيا المسلمة صمت رهيب أخذت على أثره جحافل الظلام القاتم تضرب أطنابها الثقيلة في سائر أرجاء البلاد . حتى ظن المرجفون والذين في قلوبهم مرض ، أنّ عرش سلطنتهم قد انتصب ، وعَلَم دينهم قد ترفرف . وكم غريب حقاً أن يصبح الانتماء إلى الإسلام ، في قلعة الإسلام على مدى عصور ، ذنباً يحاسب عليه القانون ، وجريرة تقع تحت طائلة العقاب . .

وهنا يعلو صوت شجاع ، ليكسر جدار الصمت ، ويشق حجب الظلام ، فيعلن في قوة وإصرار : لا . . لا كفر ، ولا زندقة ، ولا ردّة ، ولا إلحاد . . « **لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في جسدي من شعر ، وفصّل كل يوم واحد منها عن جسمي ، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق . .** » ولم تكن كلمة « لا » هذه بالتي تطلق ، فتذورها الرياح ، أو تلفظ ،

فيبتلعها الهواء ، وتضيع في ضجيج الزحـام ؛ بل كان لهـا دويّ هائل تردد صداه في طول البلاد وعرضها . قامت على أثره الألوف بل الملايين من جماهير الشعب التركي المسلم ، لـيرددوا بلسـان واحـد وقلـب واحـد : « لا » ، لن نرضى بالكفر ، ولن نقبل الردة والانحراف . . لا تنكّر للماضي ولا تناسي لتلك البطولات والأمجـاد . . وههنـا يتجلى قول الله سبحانه وتعالى مرة أخرى : « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِـمْ وَيَأْبَـى اللَّـهُ إِلاَّ أَنْ يُتِـمَّ نُورَهُ وَلَـوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ »(١) .

وهكذا تدخل تركيا المسلمة ، مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين أنصار الحق وأتبـاع الباطـل . وتفتـح صفحـة أخرى من صفحات النزاع بـين قانـون الأرض ، ومنهـاج السماء . . وكأنما التاريخ يعيد نفسه ليذكرنا بما كان ، ومـا

(١) التوبة ٣٢ .

سوف يكون على أرض الله وبين عباد الله . . ولعل موطن العبرة في صفحتنا هذه : هو المعجزة الخارقة التي يستطيع أن يفعلها إيمان الشجاع . . فها هو ذا صاحب ذلك الصوت المؤمن المدوّي ، ماثل أمام محكمةٍ جميعُ أعضائها ممن تنكّروا لفطرهم السليمة ، وأبَوْا إلا أن يضربوا صفحاً عن الإصغاء إلى صوت الحق وصرخة الضمير . . فماذا كان ينتظر منه أن يفعل ؟ هل يصانعهم ؟ . وهو المؤمن الذي يرى أن دين الله لا يقبل المصانعة والمماراة . . أم يستدرّ عطفهم ، وهو يعلم يقيناً أنه ما جاء ليحاكم ، بل ليسمع ما صدر ضده مقدماً من أحكام . . ؟ كلا . لا هذا ، ولا ذاك . « **لقد تقدمت إليكم بطلب ، لا لإخلاء سبيلي وإبراء ساحتي - كما هو المعهود - ولكن بإنزال العقاب أشد أنواع العقاب عليّ . .** » **هذا هو الرد الحاسم الصريح . . وهذه هي اللغة التي** يفهمونها ، والتي ينبغي أن يُخَاطَبوا بها . أما لغة الاستدرار والمصانعة ، فهي شأن الجبناء والضعفاء . وإذا كانوا

عاجزين عن إدراك معنى هذا الرد ، حق الإدراك ، فلا مناص من الفصل والإيضاح : « **ألا فلتعلموا جيّداً بأنه لو كان لي ألف روح ، فإنني مستعد للتضحية بها جميعاً في سبيل الإيمان والآخرة** » !

وهكذا نراه يتحدّى أعضاء المحكمة في شموخ وكبرياء ، ويتركهم في دهشة وذهول لم يجد إزاءهما أحد القضاة بُدّاً من الاعتراف بالقول : « **إنني شخصياً لم أرَ رجلاً مثله قط . . إنه يبصق على الموت . . كل شيء يهابه حتى الموت . . !** » نعم . إن الموت كان يهابه ، لأنه لم يكن يهاب الموت . وكان يعلم حق العلم « **إن الموت بالنسبة لنا تذكرة مرور ، وتأشيرة دخول إلى عالم النور والسعادة** » . والرجل الذي يبلغ به عمق الإيمان هذا المبلغ ، لن يتردد في القول « **إن الحقيقة التي افتدتها ملايين الناس برؤوسهم ، فداء لها رأسنا أيضاً . .** » و « **إن الآلاف بل الملايين من مجاهدي الإيمان الذين انسلخت جلودهم في سبيل الحقائق**

الايمانية ـ كسيدنا جرجس مثلاً ـ ينبغي أن يكونوا قدوة ومثلاً لنا . . . » .

وإذا قيل له : إنك بكتاباتك ورسائلك هذه ، تفسد علينا مدنيتنا ، وتحول دون تمتّعنا بمباهج الحياة وملذاتها ، يكون جوابه : « إنني لا أتدخل في شئون دنياكم . . » ولكن هناك حقيقة لا ينبغي التغافل عنها ، أو الانتقاص من شأنها ، وهي **« أنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بدون دين . . هذا دستور عام معترف به في الدنيا كلها . . فإذا كانت هذه هي الحقيقة بالنسبة للدنيا كلها ، فإن لآسيا ميزة خاصة ، وطابعاً معيناً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، إذ ليس من حق أحد أن ينزع الإيمان من آسيا التي هي مهبط الوحي ومهد الأديان على مدى الدهور والأعصار . . » .**

وقد يتساءل المرء : من أين استمد هذا الرجل تلك القوة الخارقة التي استطاع بها أن يواجه ذلك التيار الجارف من

الطغيان والفساد ، ويحاربَ الكفر ، ويقتحمَ أوكار الردة والزيغ والانحراف ، وهو يهتف قائلاً : « **إنني أتحدى اوروبا بأسرها بما فيها ملاحدتكم . . »** ؟

والجواب في كلمة واحدة هو: الايمان ، والقرآن . . « **إنني بفضل الإيمان ، وبحكم مهنتي التي هي عبارة عن سمسرة القرآن ، في قوة خمسين مليون شخص . . »** . الإيمان والقرآن . . وبعبارة أخرى الإيمان النابع عن القرآن . هذا هو كل ما يملكه من قوة . وهي قوة كم طأطأت لها هامات ، واهتزت لها عروش وتيجان . . والذي يملك هذه القوة لن ترهبه التهديدات ، ولن تبهره جلالة الرتب والأسماء، ولا يقيم وزناً لضخامة العدد والعتاد . . « **فإنهم لو جنّدوا الدنيا بأسرها ضدنا ، فلن ننهزم ، ولن نُغْلَب بعون الله وقوة القرآن . . ولا يمكن أن نسلم القياد لأولئك المرتدين والملاحدة والزنادقة بأي حال من الأحوال . . »** .

هذه باختصار شديد : الخطوط العريضة ، والقَسَمات البارزة التي تنسج صفحات هذه الرسالة الصغيرة ، التي نتشرف بتقديمها الى القارىء العربي . وهي في الأصل مقتطفات ، من أقوال الأستاذ المعلّم ، جاءت في مناسبات مختلفة ، وبخاصة أثناء دفاعه أمام بعض المحاكم التركية . . وهي على وجه التحديد محاكم « أسكيشهير وآفيون ودنيزلي » . وقد جُمِعت وقائعُ هذه المحاكم بتفاصيلها في كتاب ضخم للأستاذ ، يعرف باسم « المدافعات » . وهو يقع فى أكثر من (٥٠٠) صفحة .

والصفحات التي بين يدي القارىء ، على ضآلة حجمها ، تعكس لنا صورة حية لجهاد الأستاذ الرائد الذي نذر عقله وقلبه وفكره وقلمه . . وبإختصار : حياته كلها ، لخدمة الإيمان والقرآن . . فنافح دونهما بجلادة وصبر نادرين ؛ لا تثنيه التهديدات والتنكيل ، ولا يقلّ من عزمه وتصميمه ، قضاءُ أكبرِ شطر من حياته في المنفى والسجون

والمعتقلات . وقد ظلّ يكافح ويجاهد ويدافع ، حتى آخر رمق من حياته المباركة التي كانت ومضة من النور ، أضاءت لها أرجاء البلاد ، ولهباً مستعراً التهمَ آمال وأماني أعداء دين الله .

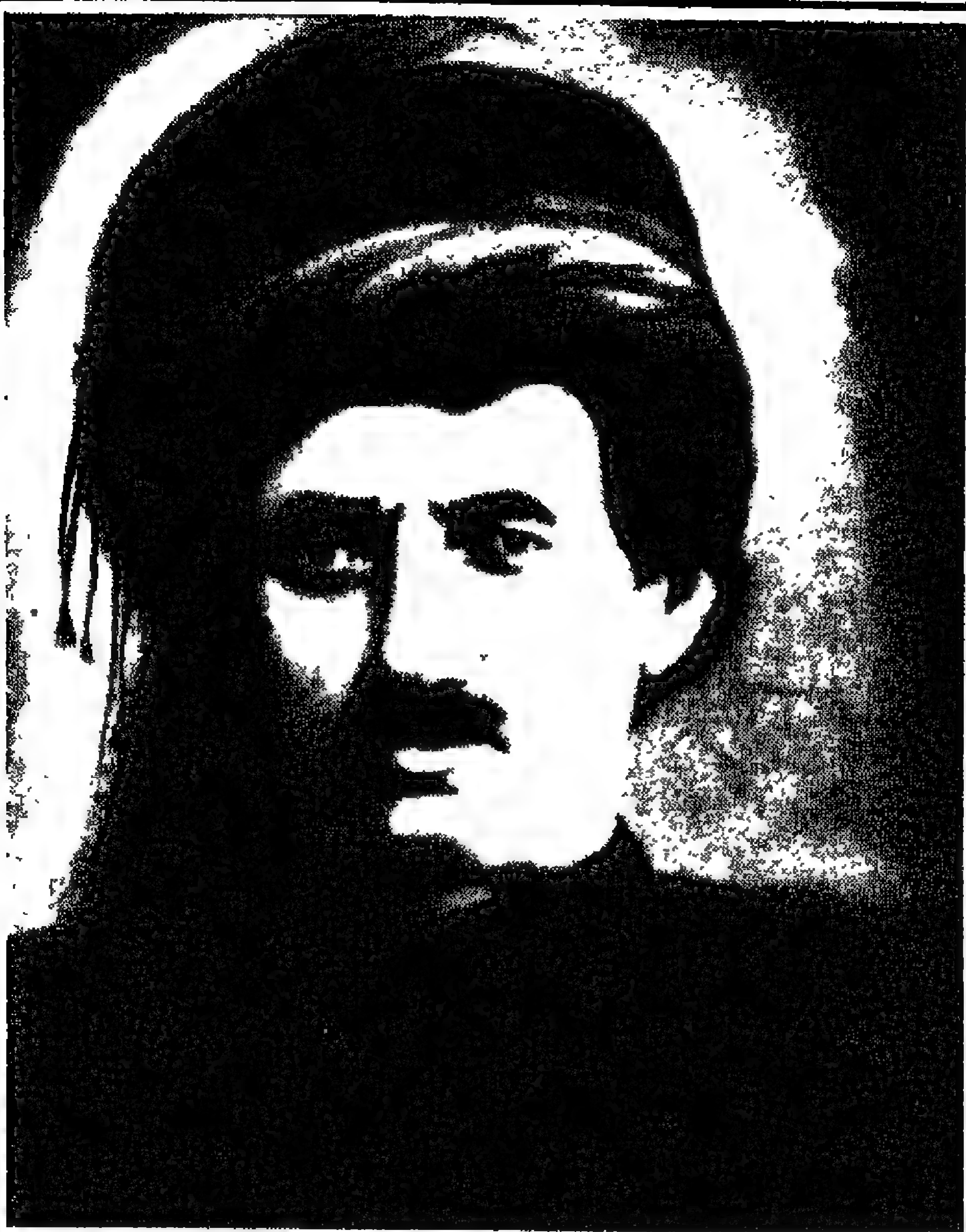
والمقام يضيق جداً عن تعداد مآثرٍ وأعمال الأستاذ المعلّم . . ويكفي أن ننوّه بأنه يُعَدّ بحقٍّ ، مؤسّسَ مدرسة فكرية رائدة ، تنتظم فيها الآلاف بل الملايين من جماهير الشعوب المسلمة في تركيا، على مختلف الأعمار والمستويات . وهذه المدرسة تعرف باسم مدارس رسائل النور . . وهي منتشرة في جميع أنحاء البلاد بقراها ومدنها المختلفة . وتحتوي برامج الدراسة في هذه المدارس ـ فيما تحتوي ـ على تلاوة القرآن الكريم وقراءة الأحاديث النبوية الشريفة ومدارسة رسائل الأستاذ التي تبلغ حوالي (١٣٠) رسالة . وهذه الرسائل عبارة عن شرحٍ وتفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . . وتعالج بجانب ذلك ، الكثيرَ

من القضايا والمشاكل التي تهمّ العالم الإسلامي وغيره .

ولسنا نجاوز الواقع ، أو نغمط الحق في شيء ، إذا قررنا : بأن الأستاذ يُعَدّ بحقٍّ ، باعثَ النهضة الدينية في تركيا، ويعتبر رائداً من أكبر رواد الحركات الإسلامية في عصرنا الحديث .

تغمّد الله ، الأستاذ المعلّم ، بواسع مغفرته ورضوانه ، وأغدق عليه سوابغ فضله وإحسانه ، ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركاته . آمين .

والحمد لله رب العالمين
بيروت ـ عاصم الحسينيّ
١٩٧٤ م . ١٣٩٤ هـ .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسّي ، في أواخر الحرب العمومية الأولى ، بزيّه العسكري حيث كان قائد الفرقة المتطوعة من الأكراد ، برتبة العميد . . .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في منفاه الأوّل عام (١٩٢٦ م) بقرية (بارلا) التي ألّف فيها ثلاثة أرباع رسائله المسماة برسائل النور . . .

مقدّمة[1] لحياة الإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسيّ رضي الله عنه

بقلم صديقنا الوفيّ، أبي الحسين الشيخ محمّد أمين قره علي، حفظه الله تعالى، أستاذ الدروس الإسلاميّة بالمعهد الشرعيّ في تبوك . .

---

(١) كتب صديقنا الوفيّ، هذه المقدّمة، تقديماً لترجمة حياة الإمام الجليل، التي ترجمتُها من اللغة التركية إلى العربية وصحّح هو أسلوب القسم الأوّل منها، وفّقه الله تعالى.

محمّد زاهد الملازكرديّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

إذا كانت الحياة بمشقّاتها ومسؤولياتها صحراء قاحلة ، مشمسة مرملة، فإن الواحة الظليلة التي فيها ، هي سيرة الأبطال والعظماء .

ففي هذه الواحة يفيء الإنسان إلى الظل الوارف الظليل ، وينهل من النبع العذب القراح ، ويسند ظهره ، إلى جذع ليّن حنون . **إن سيرة هؤلاء ، راحة بعد عناء ، وسعادة بعد شقاء ، وهدوء بعد ضجيج ، ونسيم بعد عجيج ، وأمل بعد يأس وقنوط .**

وقد جعل الله ـ من رحمته ـ واحات كثيرة في صحراء حياتنا ، وظلالاً وثيرة في سفينة أعمارنا ، تخفّف من حرّ شمس تلك ، وإزعاج موج هذه . فنحن بينهما في يأس

وأمل ، وقنوط ثم عمل . وتتكون منهما عمارة الدنيا وبقاء العالـم .

فتكون هذه الواحات لازمة لزوم الروح للجسد ، ولزوم النور للحياة . فقد خلقها الله مناراً للتائهين ، ونجماً ساطعاً للسارين، ومثالاً للمحتذين المقتدين . ولولا وجود ذلك لضلّ من ضلّ ولا مرشد ، وهلك من هلك بلا برهان . وهذا ينافي الرحمة الإلٓهية العظيمة التي وسعت كلّ شيء ، وما تركت للناس حجّة بعد الرسل .

فالعظيم هو الذي ينفخ في كير الحياة من روحه ، ويحرّك دولاب العمل بقلبه ، وتسقي ثمار الأمل بدمائه وعرق جبينه . . والذين تعتورهم لحظة وهي في معركة الوجود ، إذا رفعوا أبصارهم إلى تلك الأنوار ، زال عنهم كل ضيق ، وبدا أمامهم الطريق ، فتابعوا السير يحدوهم روح الأمل ، ويخفّف عنهم أحمالهم الثقيلة . . .

هكذا كان عظماء العالم عامة ، وعظماء الإسلام خاصة فإن العظمة لا تقاس فقط بالعلم والمعرفة ، ولا بالقوة والسلطان ، ولا بالجبروت والطغيان ، ولا بكثرة المال والمتاع . وإنما العظمة عظمة روحية أخلاقية قبل كل شيء . . وهي أصح ما تكون ، إذا خلصت فيها الروح بسلامة عقيدتها ، وخلصت فيها الأخلاق بنبل غايتها ، وشرف مقصدها ، واتساع أفقها . .

ولا كمال ـ في نظر المسلم ـ للروح ، إلاّ إذا كانت متوازنة الأشواق مع اتجاهات القوى الإنسانية الأخرى ، في طريق الفضيلة التي ترسمها الشريعة ، وتسدد خطاها رسالة السّماء الصحيحة ؛ كما لا فائدة من الأخلاق ـ في نظر المسلم ـ مهما ارتفع شأنها ، إذا لم تكن لها ثمار عملية في واقع الناس والمجتمع عامة . فلا تكون الأخلاق كاملة ، إذا تقصدت نفع الخاصة فقط ، دون عامة

الخلق ، ولا تكون واضحة ، إذا اقتصرت على عالم الأفكار ، دون أن تكون لها إلزامية عملية في القلب والنفس والمجتمع . .

والعظيم في الإسلام : هو من رسم المثل الإسلامية العملية على صفحة حياته . ولا يكون بذلك عظيماً ، حتى يمتاز فيها على الناس نوع امتياز . وبمقدار هذا الامتياز يكون ظهوره لأعين الناس ، وتكون حياته في قلوبهم ، ثم في أعمالهم . .

وللعظمة سرّ لا تظهر بدونه . وذلك السرّ هو الإخلاص . فإذا كانت قلوب الناس ، كآلة التصوير، فإن أعمال العظماء تكون كالمنظر الذي ينعكس على تلك القلوب ، ولكن دون أن تتوضح الصورة لذي عينين . ولا بدّ لظهور الصورة على صفحات القلوب ، من مادّةٍ تظهر تلك الصورة ، وتثبتها في قلوب الناس . . والإخلاص هو

تلك المادة المظهرة والمثبتة في آن واحد . . .

وكما تختلف المناظر وتتنوع ، كذلك تختلف أعمال العظماء ، وتتنوع بالنسبة للفترات النفسية والتاريخية في حياة العظيم الواحد ، أو بالنسبة لمشارب واتجاهات وطرق العمل عند العظماء المختلفين ، ومع ذلك تبقى في العظمة صفتها الواضحة عن غيرها ، وهي تميزُّها وتفرّدها بين نوعيات البشر . . .

والقلوب كلها مجمعة على تمجيد هذا النوع من التميّز البشري ، والحب منعقد لهذه الرتبة السنية ، التي يتمنى كل إنسان تسنّمها لفترة ـ ولو بسيطة من عمره ـ ثم يبيع الباقي من عمره ، بعد ذلك بأبخس الأثمان . ولكن قد يضلّ بعض الناس ، الطريق الصحيح في البحث عن العظمة . فيكون كحاطب ليل في متاهات بحثه . وقد يطلبها من غير وجهها الصحيح ، فيلقي بنفسه إلى

التهلكة ، إذا لم يكن له عاصم من عقيدة سليمة ، وفكر نيّر واضح سليم . . .

هذا بحث عن العظمة لا أريد أن أطيل فيه ، لأن أكثر الناس يعرفون عنها الكثير ، ويدركون منها أكثر مما سطرت . ولكن أريد أن أقول بأن حاجة الناس إلى دراسة نواحي العظمة ، والبحث في سيَر العظماء : هي السبيل إلى ترقي الروح ، والارتفاع بالإنسان ، لأن الله لم يخلقهم عبثاً ، ولم يخلد ذكرهم عبثاً . إنّما جعلهم ـ سبحانه ـ حوافز للارتفاع ، وبواعث لإنهاض الهمم . ولولا هذه البواعث لانحطت الأفكار ، وتحطمت الأرواح على صخور شاطىء الحيوانية والمادية . . .

وقد علم ـ سبحانه ، وهو العالم ـ بالنفع من حياة العظيم . فنشر سيرة حياته على صفحات الوجود والخلود ، وسخّر العقول للبحث فيها ، والقلوب للورود

منها ، والأبصار للخشوع أمامها ، والألسنة للحديث عنها ، والأقلام لتسجيل مفاخرها ، ليكون في كل ذلك مصداق قوله سبحانه : « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ » .

ولقد كان الإمام بديع الزمان سعيد النورسيّ ، رضي الله عنه ، عظيماً في عصره ، وعظيماً في عصرنا . وما بين عصره وعصرنا ، إلاّ فترة تعدّ بالثواني من عمر الزمان . فهو لا يزال يحيا بوضوح ، على صفحات القلوب والذاكرة والتاريخ . . كان عظيماً بعلمه ، عظيماً بعمله ، عظيماً بفكرته التي بذل لها كل ما يملك من غالي المتاع ، وعزيز الأوقات . . .

نزل على العالم من جبال الشرق[1] ، يحمل العَلَم ،

(١) كلمة الشرق ، في هذه المقدّمة كلها ، عبارة عن بلاد الكردستان . المصحّح . . .

ويتسلّح بالإخلاص ، ويتحلّى بالصفات التي جعلت منه في إستانبول كعبة للمعرفة ، ومقصداً لطالبها . ثمّ نشرت ذكره في العالم الإسلاميّ كله ، وحبّبته إلى القلوب والأرواح ، وكأنه نسمة ندية من نسمات ربيع الشرق ، جاءت إلى أرض الشتاء القاحلة . فأنبتت فيها من كل زوج بهيج . . .

لقد كانت حياته كلها مُلْكاً للشريعة الإسلامية الغرّاء، وكانت بذلك ملكاً للإنسانية الكريمة الشريفة ، والأخلاق العالية الزكية . . لهذا نزل من جبال الشرق ، ولهذا عاش في إستانبول ، ولهذا سافر وتنقّل في الأمصار ، ولهذا قاتل وجاهد ، وأُسِر وعُذِّب ، وحُوكم واضطُهِد لفكرته التي عاش لأجلها ، وفعل كل ما فعل ، وأصابه كل ما أصابه . فهو من رجال الدعوة العظماء ، تدرس حياته من هذه الزاوية ، ويستفاد منها الفائدة العظيمة . . .

وهذه الصفحات من حياتـه ، واضحـة جلية للـدارس الممحِّص ، لأن العهد ـ كما قدّمت ـ قريب بيننا وبينه ، فلم يشوّه التاريخ شيئاً منهـا . ثم إنـه ألّف بيده كثيراً من فترات حياته ، ونقلها تلامذته إلينا صافية ، ليس فيها أدنى تحريف . فسيرته علـى هذا ، ذاتية صادقـة ، تبيّن نفسية صاحبها ، والخوالج الداخلية فيها ، على أوضح ما تكون السِيَر .

ثم إن هذا الرجل العـظيم عاش فتـرات مضطربـة من تاريخ الخلافة العثمانية بما يحاك فيها من مؤامرات ، وما يحاك حولها من مخطّطات تستهـدف أوّل ما تستهـدف ، القضاءَ على الحمية الدينية من قلوب المؤمنين . وعـاش بديع الزمـان سعيد النورسيّ ، رضـي الله عنــه كل هذه الفتـرات بروحـه وقلبـه ، وقلمــه ولسانــه . فكان فارس الميدان ، في كل مجال وكل مكان ، يطالب نفسه بتحمل الصعاب ، وتجشـم الأهـوال ، ومصارعـة الجبـال ، في

سبيل هذا الدين ، وإنهاض همم المسلمين . . ولقد أوصله هذا الدفاع في نهاية المطاف أن يقف أمام المحاكم العرفية والعسكرية ، موقف المتهم ، ومع ذلك لم يهن ولم يضعف ، ولم يستخذِ ، ولم يمرغ عزة الإسلام في الرغام ، حفاظاً على حياته ، أو لقمة عيشه . بل وقف كالطود الأشم ، يتحدّى ويتهم ، بدل أن يستخذي ويستسلم . . وهكذا تكون عزة المؤمن في كل عصر تتعارض فيه تلك العزة مع قوة البطش والسلطان ، فتنتصر فيه العزة على قوة الطغيان . . « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » .

هذه صفحة . . ونقلب صفحات أخرى عن علمه وذكائه ، ونرى العجب العجاب . يعود لنا مع الزمان الطويل . فنشاهد العبقرية المتفتحة تلتهم المعارف التهاماً لا عهد لنا به منذ التاريخ البعيد . . يقرأ الكتاب الكبير في

ساعات ، ويحفظه عن ظهر قلب في أيام ، وتعرض على ذهنه المسائل، فيجيب عنها الجواب الواضح المستقيم ، وكأنـه عاش معهـا السنين الطـوال ، وينـاقش العلمـاء المختصين باختصاصاتهم، فيتغلب عليهـم ، ويفحمهـم بقراءة ساعات قليلة قبـل المناقشـة ، ثم ينشىء في هذه العلوم طرقاً جديدة ، ويتبدع فيها أساليب حديثة ، توافق الأذهان ، وتنسجم مع العصر الجديد .

وتآليفه العديدة : في مختلف أطوار حياته : صورة هذا الجانـب العلمـي الواسـع ، المتنقـل في أجـواء المعرفـة والهـداية ، بين العلـوم الاجتمـاعية الإسـلامية ، وبين نفحات من علـوم القـرآن وإعجـازه ، ونظـرات نافـذة في معرفته ، وتلمّس آياتـه الـكونية، والتربـوية ، والعلمية ، والأخلاقية . . .

وإنّ ما كتب هذا الإمام الجليل رضي الله عنه ، هو زبدة

هذه الحياة المليئة المفعمة بالعمل والإخلاص . ويكفي أن يقرأ الإنسان هذه المؤلّفات ، حتى يبصر من خلالها صورة واضحة عن هذه الشخصية الفذّة في عالم الإسلام . ولا يستغني المؤرّخ والداعية عن دراسة حقائق هذه الرسائل ، عندما يبحثان عن تلك الفترة من تاريخ الخلافة ، ثم التطوّرات التي حدثت قبلها أو بعدها بقليل . . .

ثم يقرأ هذه الرسائل العالِم والدارس ، فيرى من خلالها نفحات علمية غزيرة تنمي المواهب . وتوقظ الاستعدادات الفكرية ، وتفتح أمام الذهن دروب المعرفة الواضحة ، وتنصب أمام العبقرية ، منارات الهداية والإدراك .

ويقرأ هذه الرسائل عالم الاجتماع ، فيشاهد تلك النظرات الثاقبة ، التي تبصر ، ثم تدرك ، ثم تحلل وتحكم الحكم الحازم الواضح . وكل ذلك بأسرع من الخاطرة ،

وأوضح من شمس النهار .

أمّا زبدة هذه الرسائل التي ختم حياته المليئة بها فهي « رسائل النور » التي أدرك عندها حقيقة الدعوة ، وسبيلها الأوحد الأكبر ، وعرف المنهج الواجب اتباعه، وأبصر الطريق الواضح سلوكه ، وهو : « المعرفة » وتنوير الأذهان . وهناك حطّ رحال جهده ، وانفق الباقي من عصارة فكره ، واستقطب كل قدرته العلمية في توحيد الوجهة، ومحاربة العدوّ الأكبر ، وهو « الجهل» ، بسلاح العلم والمعرفة .

لقد أدرك أن السياسة الحقيقية هي سياسة النفس الإنسانية من الداخل ، قبل سياستها في الخارج ، والانطلاق من أعماق الفكر والضمير ، قبل الانطلاق للتخريب أو التعمير . لقد توضح ذلك أمامه ، فترك كل شيء ، لهذا الشيء الذي أدركه . وهو في الحقيقة لم يترك

بهذا أيَّ شيء ، بل استجمع القوة أمام العدوّ الأكبر ، الذي يسند ويقوي بقية أفراد العدوّ ، الكثيرين . . .

إن القارىء لهذه الرسائل يجد تبدلات هذه الحياة ، في مجال البحث والمعرفة عن هذه الحقيقة الكبيرة ، التي ما إن ظهرت أمامه ، حتى استجمع كل قوة الشيخ الهرم ، ليتمسك بها في قوة وإصرار ، قبل أن تشرد من بين يديه . ثم قدّمها للناس هدية مودع ، في « رسائل النور » . . فكانت هدية رجل وقف على البرزخ ، يستقبل الموت بأخلص أعماله ، وأصدق نفحات روحه وقلبه ، وقدّمها هدية لكل مسلم عارف ، أو باحث أو دارس ، ولكل شابّ مستهد، أو طالب ، أو راغب في المعرفة والإيمان ، ولكل رجل مستدرك ، متحقق ، وعالم ، ولكل من يقول الحق ، أو يهدي إليه ، أو يطلب المعرفة ويسعى إليها ، أو يبحث عن الهداية ويبذل في سبيلها . . فكانت رسائله بذلك ، نوراً من أنوار الهداية ، وقبساً من أنوار المعرفة ،

ونجماً ساطعاً في سماء الخلود والرضوان . . تلك صفحة . . .

وصفحة الجهاد في حياته ، أنصع الصفحات بياضاً ، وأسناها نوراً . ففيها يتجلّى ذلك الجهاد في شتى صوره وأحواله . جهاد مع النفس ورغباتها وشهواتها ، وجهاد مع أعداء العقيدة بمؤامراتهم ومكائدهم ، وجهاد مع أعداء الإسلام من المستعمرين والمستشرقين بطعونهم وشبهاتهم ، وجهاد مع المسلمين أنفسهم ، بجهلهم لعقائدهم وانحرافهم عن دينهم ، وجهاد مع المتفرنجين في تغرّبهم ، وإعجابهم بالحضارات الدخيلة . ثمّ الجهاد الأصغر أمام العدوّ في ساحات القتال .

إننا لو أردنا أن نصوّر حياته كلها بكلمة واحدة معبّرة ، لم نجد له وصفاً سوى قولنا : « المجاهد » .

إنه الجهاد الذي بدأ في طلبه العلم والمعرفة ، ثم

استمر في الهـداية والإرشـاد . ثم عم ذلك إلـى مسلمـي عاصمة الخلافـة ، ثم ترقـى حتـى صار جهـاداً للـدين ، ولأجل إعـلاء كلمتـه في الخـافقين . . . ثم صار جهـاداً سياسياً في الحكم ، ولتطبيق الشريعة فيه ، ثم ترقى فصار جهاداً لنشر راية القرآن ، لمّا استفزّه التحـدي القـادم من إنجلترا على لسان وزير مستعمراتها ، في تحدّيه للقرآن، ثم تابع سَيْره تحت هذه الراية القـرآنية ، مستظـلاً بظلهـا الوارف الكريم بقية حياته . . .

أما الجهاد الأصغر : فقد كان هو فيه الأسد الغضنفر ، متوكلاً فيه على الله ، مقدماً فيه على المهالك والمخاوف ، مستميتاً في سبيل الله ، راجياً جنة ربه ، ورتبة الشهادة في سبيله . ثم أوصله هذا الجهاد إلى الأسر القاسي المـرير الذي قاساه مع العزّة التي لم تضعف ، حتى قيّض الله له فرجاً ، بعد أن صهره في بوتقة الصبر والإيمان ، واحتسبه في جنة الرضا والرضوان . . .

ثم قضى البقية الباقية من حياته بين عذاب النفس ، لما رأى من نكبات العالم الاسلامي ، وبين عذاب الجسد في السجون والمعتقلات ، ومع ذلك لم يقعده اليأس القاتل ، عن رؤية الأمل القريب القادم ، يشاهده بعين البصيرة المعتمدة على استقراء التاريخ ، ودراسة الأحوال الاجتماعية . فهو يحاول في « رؤياه العجيبة » أن يبيّن لنا تلك الهزيمة الماحقة التي لحقت العالم الإسلامي . ونحن نرى من خلال هذه الرؤيا نفسية الأمل المشرق ، والتعليل الواضح المستقيم ، المبنيّ على حقائق التاريخ ، لا على بوارق الأحلام والأوهام . . .

ثم نحن نرى معه بعين الأمل المضيئة ، مدرسة الإسلام ، تقوم أركانها في « تفليس » كما كان يحدّث ذلك ، الشرطيَّ الروسيّ الذي سأله ساخراً : إن الإسلام قد ذهب وولّى . فأجابه بديع الزمان قائلاً : « إنّ المسلمين ذهبوا لتحصيل العلوم ، فهناك في هندستان طفل مستعدّ من

أبناء المسلمين ، يدرس في مدرسة إعدادية الإنجليز . وفي قفقاسيا وتركستان ، ابنان باسلان من أبناء الإسلام ، يتعلمان في مدرسة الروس الحربية . وفي مصر ولد ذكيّ من أبناء الإسلام ، يأخذ الدرس من مدرسة الإنجليز الملكية . وهكذا . . فإنّ هؤلاء الأولاد النجباء بعد أن يحصلوا على شهاداتهم ، سيترأس كل منهم قارة من قارات الدنيا ،فيرفعون أعلام والدهم الإسلام العادل المحتشم ، وستتموج تلك الأعلام في آفاق الكمالات ، ويعلن أولئك الأبناء البررة سرّ الحكمة الأزلية في خلقة البشر ، بالنظر إلى القدر الإلهي ، على رغم أنف الزمان والأيام » . .

لقد كان هذا الأملُ الكبيرُ ، المحرّكَ الداخليّ لنفسية هذا الرجل العظيم . وكان يريد منه بالتالي أن يحرّك قلوب المؤمنين في كل مكان ، لأن الأمل باعث العمل ، والدافع الأكبر إليه . فكيف إذا كان هذا الدافع مبنياً على نظر ثاقب

في النتائج والعواقب ، ومعرفة الغايات من المقدمات والبدايات ؟ . .

والتفاؤل الحسن سنّة نبيّنا عليه الصلاة والسلام . وما التفاؤل إلّا الأمل الكبير الذي يحرّك الهمم ، ويدفع القلوب في ميدان الصراع وحلبة الكفاح .

هذه صفحة من حياة هذا العظيم استعرضناها ، واستعرضنا معها بقية الصفحات القليلة التي اتسعت لها هذه المقدّمة الموجزة ، ومع ذلك فما وفّيت هذا الرجل حقه ، بل ظلمته وغمطته لأن المقدِّم إذا مسخ التقديم بالإيجاز ، أخلّ مع العظيم ومع الناس ، لأنه لم يقدّمه بما يستحق من وصف صادق واضح . وعلى كل فإنما هو تصوير سريع لمدينة حافلة ، يمرّ فوقها المسافر بسرعة الطائرة ، فلا تلمح عينيه ، سوى الهيكل الكبير ، دون أن تتوضح لباصرته الأوصاف المفصّلة الكثيرة .

ولعل القـارىء الـكريم يكون أصـدق حسّـاً في تلمّس الحقيقة من مصادرها بالصبر والمدارسـة ، بأن يتسـع وقتـه لقـراءة هذه الحياة قراءة واعية متدبـرة ، ثم يثنّـي بدراسـة الرسائل المفصّلة ، لهذا الرجل العظيم ، والتـي ما هي إلاّ جزء من هذه الحياة ، وقطعة من فكر الرجل وقلبه ، ونور من هدي روحه وإيمانه .

والله أسأل أن يهـدي القـارىء بذلك ، وأن يوضـح له سبيل الخير والهداية . . .

والله ولي التوفيق .

والحمد لله رب العالمين .

محمّد أمين قره علي

٢٧/ ١٠/ ١٣٩٤ هـ .



الإمام بديع الزمـان سعيد النورسّي رضي الله ، في سجـن مدينـة (آفيون) عام (١٩٤٧ م)...



الإمام بديع الزمان سعيد النورسيّ معه طائفة من تلاميذ رسائل النور، يأتون من سجن (آفيون) إلى محكمتها في فترة استبداد الحزب الجمهوري، عام (١٩٤٧)م...

لمحة سريعة من خلاصة حياة الإمام الجليل ، الأستاذ بديع الزمان سعيد النّورسيّ رضي الله عنه ، بقلم الفقير إلى رحمة ربّه القدير الغنيّ ، الملا محمّد زاهد الملازكرديّ ، جامع هذه الأوراق ومرتّبها، عفا الله عنه . . (١)

---

(١) وقد تُرْجِمت جميعُ حياة الإمام الجليل مفصّلة ، بعون الله تعالى ، بقلم الملا محمّد زاهد الملازكرديّ ، وستنشر إن شاء الله تعالى ، جزأً مستقلاً . . .

من هو الإمام بديع الزمان سعيد النورسيّ الذي رسم المصحف المعجز المتوافق ، وألّف مائة وثلاثين رسالة في حقائق الإيمان وأنواع إعجاز القرآن ؟؟ . .

أوّلاً : إنّ شهرة هذا الإمام المجدّد للقرن الرّابع عشر الهجريّ ، والعشرين الميلاديّ ، باتّفاق أهل الاختصاص والتّحقيق ، تغني عن ذكر ترجمة حياته ، لأنّه أكبر شخصيّة علميّة خارقة ، وأعظم مؤسّس وُفّق لإكمال تآليفه ونشرها ، وتكميل دعوته في حياته ، بتوفيق الله تعالى وعنايته ، بين مشاكل لم يلاقها أيّ مؤلّف وإمام ، وأيّ

مجدّد ومؤسّس . . .

وثانياً : إنّ شخصيّة أكبر إمام ومجدّد له مائة وثلاثون جزأ من التآليف ، وثمانية وثمانون سنة من عمر مبارك ، وكُتِب في ترجمة حياته مجلّدات تزيد على مآت الصّفحات ، لا يمكن لعاجز مثلنا أن يوفي بحقّ ترجمة حياته في عدّة أوراق . ولكن نكتب نظرة عامة سريعة إلى حياته لتكون مرآة تصف تلك الشّمس ، ولا تجمع صفاتها . . .

فنقول : وبالله التوفيق . . .

مولده ونسبه رضي الله عنه :

ولد الإمام بديع الزّمان سعيد النورسيّ رضي الله عنه ، سنة ألف ومأتين واثنتين وتسعين هجريّة ، توافق عام ألف وثمانيمأة وثلاثة وسبعين ميلاديّاً ، في قرية صغيرة بين

الأودية والجبال ، تسمّى بقرية (نُورْس) من ناحية «سِپائِرت » من قضاء « هيزان » ، من ولاية « بدليس » من ولايات الكردستان الغربيّة الواقعة في حدود الجمهوريّة التركيّة . .

ولد الإمام النورسيّ رضي الله عنه، من أبٍ وأمّ كرديّين . .

والده صوفي ميْرزا بن علي بن خضر بنميرزا خالدبن ميرزا رشاد ، من عشيرة « سپائرت » .

ووالدته نوريّة بنت ملا طاهر من قرية « بلَكان » من ناحية « خاكيف » التابعة لقضاء « هيزان » المذكورة ، وهي من عشيرة خاكيف . وهاتان العشيرتان من قبائل الأكراد الهكّارية .

شروعه في تحصيل العلم :

يبدأ بتحصيل العلم في مدارس القرى المجاورة لقرية

« نورس » ، وهو في أوّل سنّ التمييز .

ومن ميزات طبيعته في صغره : حدّة الذكاء ، وشدّة الغضب . فلذلك كان لا يعاشر رفقآءه من التلاميذ ، ويقاتلهم . فاضطرّ لترك المدارس ، وجلس عند والديه ينتظر أخاه الكبير ملا عبد الله رحمه الله ، ليأتي على رأس الأسبوع للصلة ، فيأخذ منه درساً في الأسبوع . وهكذا دام مدّة . ثم رأى رؤيا عجيبة أجبرته على الشروع في تحصيل العلم ثانياً.

وهي : أنّه يرى أنّه قامت القيامة ، وحشر الناس في المحشر . فيطلب أن يزور النبيّ ﷺ . فيتفكر أنّ كلّ أحد يمرّ على الصّراط . فإذاً أنتظر عند رأس الجسر . فيمرّ من عنده الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فيزورهم واحداً فواحداً، إلى أن يأتي في آخرهم النبيّ ﷺ . فيزوره ويقبّل يده الشريفة . ويرجو منه علم القرآن .

فيقول له النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في الرؤيا : إن لم تسأل السّؤال من أمّتي ، فسيهب الله تعالى لك علم الحقيقة . فيستيقظ وهو تحت تأثير هذه الرّؤيا . ثم يحكي رؤياه صباحاً ، على والديه . ويطلب منهما الإذن لتحصيل العلم . فيأذنان له . فيجول بين المدارس . فإذا لم يعاشر تلاميذ مدرسة ، يتركها ويذهب إلى أخرى ، إلى أن وصل إلى كتاب البهجة المرضية في شرح الألفيّة للإمام السيوطيّ رضي الله عنه . ولكن لا يحصّل شيئاً مهمّاً من العلم في هذه السنين الأربع والخمس ، لعدم إقامته بمدرسة ، واعتكافه على دراسة .

وفي سنة (١٨٨٨ م) يسافر إلى مدينة « بايزيد » الكرديّة على حدود إيران . فيبدأ بتحصيله الحقيقيّ في هذه السنة عند الشيخ محمّد جلالي . وينتهي من دراسته في ثلاثة أشهر بشكل غريب . فيدرس من الكتاب درساً أو

درسين ، فيتركه ويبدأ بالآخـر . وهـكذا يدرس في ثلاثـة أشهر ما يقرأ خمس عشرة سنة على الأسلوب المقرّر في بلاد الكردستـان. فيسألـه شيخـه عن هذا الحـال العجيب ، فيقول: إنّي لا أجد الزمان لأقرأ هذه الكتب كلّها . وإنّما هي صناديق الجواهر . ومفتاحها بأيديكم . فافتحوها كلّها لي . ثم أنتخب من بينها ما يوافق طبعي . ثم يمتحنها في تلك الكتب وفي غيرها ، فإذا إنّه يعلم ما قرأه وما لم يقرأه . فيقول له شيخـه : أجيز لك تدريس العلـوم بلبس الجبّـة والعمامة . فيقول : لا ، إنّي صبيّ غير بالـغ لا يليق بي كسوة العلمآء . وكان عمره بين ثلاث عشرة وأربع عشـرة سنـة ، وقـد أصبـح عالمـاً . فيطـوف بين علمـآء الأكراد ومدارسهم ، يناظر التلاميذ والأساتيذ ، يجيب على كل ما يُسْأل ، ولا يسأل هو أحداً كما وعد النبيُّ عليه الصّلاة والسّلام في الرؤ يا المذكورة . .

وكان يقرأ كلّ كتاب يصادفه ، ويفهم كلّ ما يطالعـه .

ويجيب على الأسئلة بالسنوحات القلبيّة ، إلى أن اشتهر في بلاد الكردستان بين الخواص والعوام بلقب (ملاي مشهور) . وأصبح ذا مكانة عالية ، وكلمة نافذة ، عند أكابر المشايخ والعلمآء ، وبين العشائر والأمراء . . .

ثم عزم على أن يقيم بمدينة « وان » من مدن كردستان ، ليدرّس الطّلاب وينفع المسلمين بعلمه . فيؤسّس مدرسة (خورخور) تحت جدار قلعة « وان » الشهيرة على ساحل بحيرة « وان » . واعتكف على تدريس العلوم بأسلوب جديد ، يمزج العلوم الكونيّة بالعقائد الدينيّة ، فيثبتها بالحجّة والبرهان . ويفسّر القرآن الحكيم بأنواع مختلفة من علوم الكون . . ويجول من جهة أخرى بين عشائر الأكراد ، ويصلح بينهم ، ويرشدهم ويوقظهم بمواعظ ونصائح دينيّة مؤثّرة . حتى إنّ القتال الدّاميَ الدائم بين مصطفى باشا البوطيّ ، وشكر آغا الشّكاكيّ ، عجزت عن ذلك القتال بين تينك العشيرتين الكبيرتين ، الدولةُ

العثمانيّة بعظمتها فأصلح بينهما ملا سعيد المشهور . وهدّد هو مصطفى باشا ، وقال له : إنّك نقضت توبتك . فلا ترجع بالسّلامة ، فوقع كما أخبر ، حيث قُتِل في الرجوع ولم يُعْرَف قاتلُه .

ميزاته البديعة ، وهو في سنّ المراهق :

١ ـ تضلّعه في العلوم بدون التمييز بينها ، آليّةً أو عالية . دينيّة أو كونيّة كانت. وشهد علماء عصره ، على تضلّعه في هذه العلوم كلّها ، بامتحانات كثيرة شاقّة . .

٢ ـ إجابته على جميع الأسئلة الّتي سُئِل عنها من العلوم المتنوّعة ، بلا تردّد ، وبدون تفكّر. وذلك بالسنوحات القلبيّة ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . .

٣ ـ عدم قبوله الزّكاة والصّدقات والهدايا ، والرّاتب ، لا

من الأغنياء ، ولا من الدّولة ، مع فقر حاله ، وفقر والده . وكان مقتصداً متقشّفاً . ودام ذلك الحال إلى آخر عمره ، وذلك تحصيلاً للإخلاص ، وتكذيباً لمن يقولون : إنّ علماء الدين يعيشون بعلم الدين . . .

٤ ـ مواظبته على المجاهدة ورياضة النفس . فترك الطّعام ، حتى الخبز في بعض أزمنة ، اقتداءً بالإشراقيّين ، وذلك لانبساط الفكر وتنوير العقل . . .

٥ ـ شغفه بمطالعة العلوم والكتب . فكان أحياناً يطالع في يوم واحد ، ما يزيد على مأتين وخمسين صحيفة ، مع شرط الفهم ، من أصعب الكتب مثل تحفة المحتاج لابن حجر الهيثميّ . فحصل بذلك، على الفلسفة والفلك والجغرافيا والكيمياء والرياضيّات والحساب إلى آخرها . فألزم كثيرين من معلّمي هذه العلوم ، في

فترة قليلـة بحفـظ متـن ، أو مطالعـة كتـاب في ذلك الفنّ . . .

٦ ـ حفظه تسعين متناً من متنوّع العلوم . وكان يكرّر قراءتها عن ظهر الغيب في كلّ ثلاثة أشهر مرّة . فتنتهي ويبدأ من أوّلها . وهكذا دواليك . . . فحفـظ القامـوس المحيط ، إلى حرف السين ، وهو نصفه تقريباً . وحفظ جمع الجوامع جميعه في جمعة فقط ، فكان حفظه خارقاً ، كما كان ذهنه فائقاً . . .

انتباهة لحال عالم الإسلام ، ومجتمعه :

وقد انتبه بهذا الذكاء والدّهاء ، لحال مجتمع الإسـلام . فنظر أوّلاً إلى المجتمع الّذي يحيط به ، والشّعب الذي يعيش فيه . فرأى أنّه بين شعب نام منذ خمسمأة سنة ، بعدما انتهى الأيوبيّون . وقُتِل هذا الشعبُ بالجهل والفقر والاختلاف ، وهو نائم في آخر درجات التخلّف . وهو الشّعب الكرديّ ،

فجال بينهم وأرشدهم وكتب لهم كتاب المناظرات ، وسمّاه برچتة الأكراد . . .

ثم نظر إلى دائرة أوسع منها . فإذا بدولة خلافةٍ عاشت ستمأة سنة . وهي في منتهى التخلّف والكهولة ، وأشرفت على الانقراض والزّوال .

ونظر إلى دائرة أخرى ، فإذا بشعب عريق أيقظ العالـم برسالة القـرآن ، وهـو الشعـب العربـيّ ، رآه نائماً متخلّفـاً ومتشتّتا تحت ظلم الاستبداد . فصاح هذا الإمام المجـدّد ، على رأس مأذنة القرن الثالث عشر الهجريّ ،صيحةلم يصح بها إمام ومجدّد ومؤسّس.ولكن لـم يكتفـ بالصّيحة، بل بدأ بالسّياحة ، أولاً إلى مركز الخلافة . فدعا الخليفةَ قبل كلّ أحد ، ودعا أركانَ الدّولة إلى الجدّ والعمل لإنقـاذ مجتمـع الإسلام وحاكمية الخلافة . ولكن يا للأسف ! . استقْبِل بالوحشـــة والجهالـــة ، وأغــراض السياســـة . فأُرْسِـل بالدّسائس ، هذا الداعية الأكبر ، وهذا الداهية الأعظم ،

إلى دار المجانين أي مستشفى العقل ، ثم إلى السجن . فكتب هناك لهم رسالة باسم « شهادة مدرستي المصيبة » وضرب فيها على رؤوسهم ما يستحقّهم . . ثم رجع ورحل الى بلاد العرب . فأتى أوّلاً إلى الشام ، أي مدينة دمشق . فأقام بها مدّة ، وألقى خطبةً على جماعة يزيد على عشرة آلاف بينها مآت العلماء الكبار ، وذلك بإلحاح من علماء الشّام . وجمع هذه الخطبة أخيراً ، وسماها الخطبة الشّاميّة . وبيّن فيها ما يلزم لمستقبل الإسلام والمسلمين ، وما يليق بجماعة كذلك ، وبخطيب مثله . ثم رجع إلى دار الخلافة ثانياً ، وقد أعلن الاتّحاديّون ، مبدأ الحريّة وغيرها . فكان هو أوّلَ خطيب خاطب ألوفاً مؤلّفة من النّاس ، في ميدان الحريّة بمدينة « سلانيك » . فدعا الحاضرين والغائبين من المسلمين إلى الالتفاف حول الحريّة ، باسم شريعة الإسلام والدّين المبين . وهكذا رغّب المسلمين إلى الحرّية والرقيّ والعلوم والصنائع . فطاف في الأناضول ، وجال بين الأكراد ،

ودرّس الحـريّة والمشروطيّة المشروعــة . ثم عرض مشروع إنشاء جامعة إسلامية . ثم بدأ ، بأمـر الخليفـة السلطـان محمّد رشاد خان ، بإنشاء جامعة إسلاميّة في مدينة « وان » في مركز الكردستـان ، وسماّهـا « المدرسـة الزهـراء » تأسيّاً بالجامع الأزهـر في مصر . وهـكذا جدّ واجتهـد ، وسعـى وعمـل وجاهـد إلى أن اندلعـت الحـرب العـالميّة الأولى . فتطوّع مع طلاّبه . وشكّل فرقة متطوّعة من تلاميذه وعشائر الأكراد ، وصار قائد الفرقة المتطوّعة . فجاهـد ودافـع عن الإسـلام ووطنـه إلى أن حوصروا في مدينـة « بـدليس » . فاستُشْهِد من معه من تلاميذه ، وأسر وهو مكسور القدم ، بقي تحت الماء والطّين ثلاثين ساعة ، وهو مجروح بثـلاث رصاصات . فأُرْسِل إلى باكو ، ثم إلى قوستورما . وبقي في الأسر بروسيا سنتين وأربعة أشهـر ، الى أنجـاه الله تعـالى بشــكل خارق. فهــرب من السّجــن في أثنـــاء انقــلاب

البولشــفيك ، ووصــل إلى المانيا . ومنهــا أُرْسِـل إلى إسْطنبول . . .

وفي ترجمة حياته يُذْكر بطولات خارقة في هذه الحرب العالميّة ، ليس هنا محلّ ذكرها. فلذا نترك خوارقه في الحرب والأسر . ونكتفي بذكر واحدة منها في أسره بروسيا ، وهو كان مع تسعين ضابطاً من أصحابه في مخيّم الأسرى .

وذلك : أنّ نيقولا نيقولاوش » رئيس الأركان حينئـذ ، أتى يوماً إلى مخيّمهم للتّفتيش ، فيقوم أمامه كلّ الضباط . ويمرّ أمام بديع الزمان ، فلا يقوم له ، ويرجـع « نيقـولا » ثانياً ، فلا يقوم أيضاً . ثم يرجع ثالثاً ، ويقف فوق بديع الزمـان وهـو جالس . فيسألـه بواسطـة الترجمـان : ألـم يعرفني ؟ . . فيقول بديع الزمان : بلـى . . عرفتـه . إنّـه « نيقولا نيقولاوِش » رئيس لأركان جيش (چار الرّوس) . فيسأل : لماذا لم يتمثّل أمامي ، والنّاس كلّهـم تمثّلوا؟ .

فيقول بديع الزمان: إنّي عالم مسلم، وهو كافر. فيأمرني ديني: أن لا أقوم أمامه. فيقول رئيس الأركان: إنّه احتقرني ، واحتقر في شخصي ، جيش (چار الرّوس) فجزاءه الإعدام . فيأمر رئيس الأركان بمحاكمته . فيجتمع عليه أصحابه من الضباط الأسرى ، ويرجون منه أن يعتذر بما ينقده . فقال : لا والله : إنّي مشتاق للسفر إلى الآخرة لزيارة النبيّﷺ ، وأنا بحاجة إلى جواز السفر . فهذا الإعدام يصير وسيلة للوصول إلى الآخرة . فلا أتخلّف منه . فيُحاكَم غياباً ، بمادة الاحتقار للجيش . فيحكم بإعدامه في نفس الوقت . فيأتي العساكر ليأخذوه إلى تنفيذ الإعدام . فيقول لهم : اسمحوا لي أن أصلّي ركعتين آخر وجيبتي . فيشرع في الصلاة ويسجد . فإذا برئيس الأركان يستعجل من غرفته . وقال : لا تعدموه ، فإنّي عفوت عنه . فيأتي، فإذا هو ساجد . فينتظر إلى أن ينتهي من صلاته. فيقول له رئيس الأركان ،

باللغة الروسيّة : أرجو منك أن تسامحني ، إنّك مؤمن صالح ولائق بالحرمة . وإنّي أخطأت في محاكمتك ، وإنّك أدّيت أمر المقدّسات ، ولم أكن أعرفه . وهكذا ينظر إليه ويسمع كلامه من يعرفون الروسية من أصحابه الضبّاط ، ويتعجّبون منه، ويبكون على هذا الحال . وهي عبرة عظيمة للمسلمين ولأهل الأبصار .

إقامته بإسطنبول بعد الأسر :

وبعد ما رجع من الأسر ، وأتى إلى إسطنبول ، رآها محتلّة من جانب بريطانيا . فجاهدهم بلسانه وقلمه . ومن أعظم مجاهداته حينئذ ، أنّه نشر في الردّ على سياسة بريطانيا ، كتاب « الخطوات الستّ » . وأفشى جميع أسرار العدوّ ودسائسهم . فهدّده رئيس الجيش البريطاني بالإعدام أيضاً ، ولكن جواسيسهم قالوا : إذا أعدمتم بديع الزّمان فسيعصي بلاد الأناضول والكردستان جميعاً ،

ويقومون قومة رجل واحد . فالمناسب أن تهملوه إلى زمن . وردّ بديع الزمان فتوى شيخ الإسلام بعدم جواز قيام « أناضول » تحت قيادة مصطفى كمال باشا ، بدون الإذن من الخليفة. فنشر بديع الزمان في الصّحف اليوميّة في إسطنبول : أنّ مشيخة خلافة تحت احتلال الانجليز ، معلولة الفتوى لا يجوز العمل بها ، وأنّ الحركة الشعبيّة والمقاومة الوطنية مشروعة يجب على المسلمين تأييدها. فعلى أثر فتواه تقوّى الدفاع الوطنيّ ، والتحق جميع طوائف المسلمين ، بحركة الدفاع تحت قيادة مصطفى كمال باشا وأعوانه . فلما جعلوا أنقره مركزاً لهم، دعا مصطفى كمال باشا، بديع الزّمان إلى أنقرة، مرّتين بالبرقية . ولكن ردّ بديع الزّمان مطلبه . فقال : إنّ إسطنبول أزيد خطراً من الأناضول. وإنّي لا أجاهد خلف الأستار . وإنّما أدافع في ميدان المعركة . فلم يسافر إلى أنقرة ، إلى أن وقّعوا الصلح ، وأسّسوا المجلس الوطنيّ .

ثم أتى إلى أنقرة . ولما أتى إلى المجلس ، هنّأه المجلس بالترحيب بين الصّفقات والصيحات . وبعد أسبوع نشر بين النّواب نشرة في حق الصلاة ، دعاهم فيها بعشر مواد ، إلى إقامة شعائر الإسلام ، وعلى رأسها الصلاة . فبدأ النّواب بالصلاة . وازداد عدد المصلّين منهم . وحوّلوا غرفة المسجد الصغيرة إلى غرفة كبيرة ، ووقع النقاش بين المصلّين وغير المصلّين .

وفي اليوم الثاني جرى نقاش شديد بين بديع الزّمان وبين مصطفى كمال باشا ، في قصر الرّئاسة . فقال الرئيس صارخاً وغاضباً : لقد أتينا بك إلى ههنا ، لنستفيد من أفكارك السياسيّة السامية . وجئت فبدأت بالصلاة والوضوء . وأوقعت بيننا الاختلاف في المجلس . فقال له بديع الزّمان ماداً بإصبعيه إلى عينيه: پاشا، پاشا! . إنّ أعظم حقيقةبعد الإيمان، هي الصّلاة. فمن لم يصلّ فهو خائن، والخائن مردود الحكم فيتراجع الباشا من

شدّته ، ويشرع بالليونة . فيعرض على بديع الزمان أن يجعله نائباً عن محافظة « موش » ، وواعظاً عمومياً لبلاد الكُردستان ، بدلاً عن الشيخ أحمد السنوسيّ رحمه الله ، حيث كان لا يعرف اللغة الكرديّة ، وأن يجعله عضواً من أعضاء الديانة بأنقره ، ويخصّص له قصراً ، وأن يؤسّس له جامعته الإسلاميّة بمدينة « وان » في مركز كردستان ، وأن يعطيه كل ما يريد . فلم يقبل شيئاً منها بديع الزّمان ، كيلا يخالف أوامر الإسلام ، ولا يتبع البدع التي سيخترعونها . فترك أنقرة ، ورجع إلى وطنه . وأقام بمدينة « وان » ، وتنسّك بها ، وكان عنده عدّة تلامذة فقط . فبدأ حركة المقاومة إزاء حكم الجمهورية الجديدة ، بقيادة الشيخ سعيد الپالويّ النقشبنديّ الكرديّ ، وشملت الحركة أكثر مناطق كردستان . وطلب الشّيخ سعيد رحمه الله من بديع الزّمان أن يعين حركته . فأجابه بديع الزمان بأنّ النّاس محتاجون إلى الإرشاد والتّنوير ، ولا يجدي الاختلال ،

للإسلام ، إلاّ توسيع الظّلم وتوطيد الاستبداد . وردّ بديع الزمان مطالب أمراء الأكراد في الالتحاق بحركة المقاومة ، ولم يسمح لهم وأمرهم بالهدوء والحذر . فوقع ما وقع من القتل والنفي والدّمار . ونفوا بديع الزمان مع هذا الحال ، سنة (١٩٢٦ م) إلى محافظـة « بـوردور » ، ومنهـا إلـى محافظـة « إسپارطـة »، فإلـى ناحيتهـا قرية « بـارلا » بين الأدوية والجبـال . وحصـروه في تلك القـرية ليعجـز عن المجاهدة أمام البدع والإلحاد . فبدأ بديع الزّمان ، بتوفيق الله تعالى ، في تلك القرية الصغيرة الغريبة ، بتأليف أجزاء رسائل النور ، وأوضح الحقّ بالحجج والبرهان ، وانتشـر هذه الأنوار التي يحتاج إليها المسلمـون أشـدّ الاحتياج ، وهم في الظّلام . فصارت لهـم منـاراً ومنهاجـاً يستهـدي ويستنار بها . وبدأ النشر بالأقلام الألماسيّة إلى أن اتّسعت دائرة الأنوار من القرى إلى المدن . فبعد تسع سنين مضت على نفي بديع الزّمان في قرية « بارلا »، وعلى نشر تآليفه

النيِّرة ، اعتُقِل منها مع مأة وعشـرين من طلبتـه من أهـل القرى . وألقوا في سجن مدينة « آسْكِيشَهْر » عام (١٩٣٤ م) . فأسْنِـد إليه أولاً اتّهـام جمعيّة سرّية معـادية للجمهورية . ولكن دافع بديع الزمان عن الحق ، دفـاع البطل المحقّ ، فألزمهم في جميع المواد . ولم يبق بأيدي المحكمة سوى أن حكمت على بديع الزمان بأحـد عشـر شهراً بالسّجـن لتفسيره علـى آية الحجـاب . وكان منـاط الحكم أنّ هذا التفسير مخالف لقانون المدنية الذي يحكم برفع الحجاب . فكتب بديع الزمان لائحـة إلـى محكمـة التّمييز بأنّـه لوجـد العـدل علـى وجـه الأرض ، لردّ هذا الحكم ، ونقض هذا القرار . فبعـد أن حقّقـت محكمـة التّمييز جميع الأوراق ، وفتّشتها ، نقضت حكمَ المحكمة الأولى ، وبرّأت بديع الزمان وطلاّبـه عن الجـرم المسنـد إليهم . ولكن مع الأسف ، كان مدّة الحكم ، قد انقضت قبل أن تحكم محكمة التمييز بالنّقض . فأفرج عن بديع

الزمـان ومـأة وعشـرين من طلبتـه . ونفـي إلـى مدينـة « قَسْطَمُوني » تحت نظارة الأمن العامّ ، ثماني سنين ، بين دائرة الشّرطة ومخفر الدّرك . فلا يقرب منـه النـاس . ولا يزوره أحد لشدّة الحراسـة عليه . ولكنّـه هو يراسـل سرّاً طلاّبه في محافظة « إسپارطة » وما حولها ، ويشوّقهم على كتابة رسائل النور ونشرها . ثم يؤلّف رسالـةً في التـوحيد ثلاثاً وثلاثين مرتبة، وهي الشعاع السابع المسمّى بالآية الكبرى. ولكن المنافقين يخبرون الحكومةبأنّ بديع الزّمان يطبع سرّاً، الشّعاع الخامس الباحث عن السفيان والدّجال والمهدي، وعشرين مسئلةً من أشراط السّاعة. فلذلك يفتّشون غرفـة الإمـام المظلـوم الغـريب ، ولا يجـدون شيئـاً . ثم يتحـرّون ما تحـت الأحطـاب، ويحفـرون الأرض . فيجـدون فيهـا ذلك الشّعـاع مع بعض رسائـل محرّمة على أهل السّياسة . فيعتقلونه ويرسلونـه ثانياً إلـى سجن محافظة « دَيِزْلـي » . ويحبسـون معـه تسعين من

تلامذته أيضاً عام(١٩٤٣ م) .ويحاكمونـه وإيّاهـم علـى نفس التّهم القديمة . ولكن لا يثبتون ما يدّعون . فلا يبقى بأيديهم مسنـد سوى أجـزاء النـور المطبوعـة والمكتوبـة بالأقلام .

فيعرض الإمام بديع الزمـان علـى هيئـة المحكمـة أن يعقدوا نخبة من العلماء والدكاتـرة والفلاسفـة ، ليحقّقـوا أجزاء النور. ويقول: إذا وجدت لجنةالتحقيق في أيّ جزء من أجزاء النّور، ما يضرّ بالشعب والدولة والوطن، فإنّي مستعدّ بافتخار، للإعدام أو للسجن المؤبّد. فيُشـكَّل لجنة في أنقرة من ستةأشخاص ثلاثةمن علماء الدين الكبار، وثلاثة من برفسور الجامعة . فيبحثون جميع أجزاء النّور ، ولا يجدون فيها مادّة ضارّة بالشعب والوطـن . فيوقّعـون مصدّقة على أنّ كلّ أجزاء النور عبارة عن نصائح ومواعظ دينيّة مقتبسة من تجارب المؤلّف وقواعد الحياة ، وليس فيها ما يتدخل في قوانين الدّولة وسياساتها . فبعد ذلك يتّفـق

أعضاء المحكمة بالإجماع على تبرئة بديع الزمان وطلبته ، وعلى تسليم أجزاء النور إلى أصحابها . ويفرج عنهم ، وقد مضى عليهم تسعة أشهر في سجن مدينة « دَنِيزْلي » . ولكن يُجْبَر الإمام بديع الزمان على الإقامة ببلدة (أمرطاغ) وهي قضاء لمحافظة « آفيون »، وذلك بأمر خاصّ من أنقرة .

وبعد براءة هذه المحكمة ينتشر أجزاء النور بشكل خارق ، وتتسّع دائرة النّور بين الشعب والموظّفين وأهل الحكم ، وأصحاب المحاكم والمثقّفين والمعلّمين خاصّة ، إلى أن يتحرّك عصب النّفاق والإلحاد في أعداء الدّين . فيتآمرون هذه المرّة الثالثة ، على أن يعدم بديع الزمان وخواص تلاميذه ، على وجه مبرم ، وبأيّ شكل كان . فيشتغل جهاز المخابرات بكل قوّته ليجدوا ما يكون سبباً لاعتقال هذا المؤمن المعصوم المظلوم الّذي بَرِىءَ بحكم محكمتين عاليتين ، عن كل ما أسند إليه من

التّهم . فيدّعون عليه.وعلى تلامذته المظلومين ، ما لا يقبله العقل والوجدان ، من الكذب والبهتان . فيعتقلونه هذه المرّة مع مأة وخمسين شخصاً من تلامذته . ويبعث بهم الى مدينة « آفيون » عام (١٩٤٧ م) . ويبدأ بتعذيبهم وتجريدهم في السّجون المفردة . ويعاملونهم أسوء معاملة من الاضطهاد والتعذيب . ويسمّمون الإمام في التجريد كما سمّموه في سجن « دنزلي » أيضاً . فيبقى بين الموت والحياة والآلام والشّدائد . ولكنّه هو يداوم على قراءة الاسم الأعظم ، والجوشن الكبير ، والأوراد القدسيّة . فيزول خطر الموت هذه المرّة كالمرّات السابقةحيث سُمُّم احدى وعشرين مرّة إلى آخر حياته . ونجا عن كلّ منها برحمة الله تعالى ، وببركة الاسم الأعظم، والأسماء الحسنى في الجوشن الكبير ، والأوراد القدسيّة، ويكتب سرّاً لتلاميذه ويبشّرهم بزوال تأثير السّم وخطر الموت . ولكن الآلام شديدة. فيعافيه الله تعالى ويشفيه برحمته .

ولكن المحكمة شديدة لا تسمح لهم بالتكلّم والدّفاع خمس دقائق . ويجمع المدّعي العام ، مأة وأربعين صحيفة من الادعاء والاتّهام عليهم بالأكاذيب والمفتريات . فيطلب بديع الزّمان من المحكمة وقتاً للدّفاع . فلا يسمحون له سوى دقيقتين . وهكذا يشدّدون عليهم ويضايقونهم بالشّدة والاستبداد ويظلمونهم ويضطهدونهم بالظلم والعذاب . فيضطرّ بديع الزّمان أن يكتب عشر موادّ من الدّفاع إلى محكمة الحشر الكبرى ، وإلى النّسل الآتي والزّمن المستقبل ، وإلى المنوّرين المنصفين من أهل المعارف وأساتذة الجامعات في العصور المستقبلة . وكانت مهمّة هذه المحكمة أن تجد ما تحكم به على بديع الزّمان ومقرّبيه ، بالإعدام ، وعلى بعضهم بالسجن المؤبّد،كائناً ما كان . ولكن لا يجدون شيئاً سوى الاتهام والافتراء . فتحكم المحكمة في آخر الأمر بما يسمّونه بالقناعة الوجدانيّة في اصطلاح المحاكم ، باثنين

وعشرين شهراً من السجن على بديع الزّمان ، وعلى بعض خواص تلاميذه بخمسة عشر شهراً ، وعلى بعضهم بعشرة أشهر ، وعلى بعض آخر بستة أشهر ، وبتخلية الباقين . ولكنّ بديع الزّمان يردّ على هذه المحكمة ، هذا الحكم ، بأنّ جزاءه - إن ثبت جرمه - إمّا الإعدام أو مأةعام ،أو أنّ حقّه البراءة ، إن لم يثبت عليه الجرم . فلذلك يكتب لائحة تمييزٍ إلى محكمة الفصل والتّمييز ، ويبيّن فيها الحقيقة بوجهٍ مشرق. فبعد التحقيق تنقض محكمة التّمييز، حكم هذه المحكمة الظالمة ، مستندة إلى قرار محكمة « دنزلي » وبراءتها لبديع الزّمان وكُتُبه وطلاّبه قبل سنتين . فتضطرّ محكمة الحكم أن تراجع الأوراق مرّة ثانيةً ، لتجد مادّة خطأها ، أو تصحّح حكمها ثانياً . ولكن لا ينتهي هذا البحث والتحقيق إلى أن تنتهي مدّة الحكم والسّجن على بديع الزّمان وتلاميذه المظلومين ، أي ينتهي اثنان وعشرون شهراً في سجن « آفيون » . ويفرجون عنه وعنهم

فجر يوم ، لئلايجتمع النّاس متظاهرين لتخليته . ويرسلونه إلى قضاء (أمر داغي) أيضاً ، ليبقى تحت الحراسة إلى أن تدوم المحكمـة . فدامـت هذه المحكمـة من عام ألف وتسعمأة وسبعة وأربعين ، إلى سنة خمسين . وانتهى حكم الاستبداد . وأتى حزب الديموقراط إلى الحكم . وانكسرت سلاسل الظلم وأغلال الاعتداء ، على المسلمين . وبعد سنتين من حكم الدّيمقـراطيّة حكمـت هذه المحكمـة المستمرّة منذ ستّ سنوات ، بمنع المحاكمة لبديع الزّمان زاعمة أنّه يمثّل ستّمأة ألف إنسان من الشّعب . وحقّه أن لا يُحَاكَم ولو كان مجرماً .

ثم باشرت رئاسة الدّيانة بتحقيق الموضوع ، بأمر رئيس الوزراء « عدنان مَنْدَرَسْ » رحمـه الله . فجمعـت دائـرة الدّيانة جميع أجزاء النّور ، وجميع مراسلات بديع الزّمان وتلامذته في غضون ثمـانية وعشـرين عامـاً من الزّمـن . فانتهى التّحقيق سنة ألف وتسعمأة وستة وخمسين . وكتبت

نخبة أهل الخبرة مصدِّقةً بأن جميع أجزاء رسائل النور ، كل منها تفسير لآية من آيات القرآن، أو لأحـاديث النّبـيّ ﷺ ، وأنّ المراسلات التي جرت بينه وبين تلامذته ليست إلّا مراسلات عادية عبارة عن تفحّص الحال ، أو باحثة عن خدمة نشر الأنوار .

ثم تتابعت المحاكم واحدة تلو الأخرى ، ببراءة الإمام وكُتُبه وطلبته ، مستندة إلى هذه المصدِّقة من طرف رئاسة الديانة في أنقـرة . وهـكذا صارت المحـاكم في كثير من المحافظات مثل محكمة « أنقـرة ودنزلـي وآفيون » هذه ، و « إسپارطة وميلاس وآنتاليا » وغيرها ، قضايا قاطعة ببراءة الإمام بديع الزّمان وأجزاء رسائل النور وطلاّبها . ووجدت العدالة مكانها . (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِـلَ كَانَ زَهُوقاً) . .

وهكذا أصبح نشر رسائل النّور حرّاً ، وطبع رسميّاً في

« أنقرة وإسطنبول وآنتاليا» . وسُمِح لبديع الزّمان بعد ثلاثين سنةً ، أن يطوف بأيّ محافظة شاء ، وسُمِح له بالرجوع إلى وطنه من بلاد الكردستان . ولكن لم يرجع هو ، وداوم على الإقامة ببلاد الأناضول في مدينة « إسپارطة » التي هي المركز الرّئيسيّ لكتابة رسائل النور ونشرها. وطاف بين تلامذه وهو مستبشر بالخير بعد ذلك البلاء الشديد ، والعناء العنيد ، ثلاثين عاماً . وغلب نور القرآن على ظلمة الإلحاد. والحمد لله ربّ العالمين . .

وبعد هذا النّصر العزيز والفتح المبين ، عاش خمس سنين ، وهو فوق الثّمانين من عمره المبارك ، وطاف جميع مراكز النور ، وطاف « إسطنبول وأنقرة » . وفي شهر آذار من سنة ألف وتسعمأة وستّين مرض آخر مرضه الذي يتوفّى فيه . وقبل وفاته ببضعة أيّام يأمر بعض خواص طلاّبه بذهابهم معه إلى مدينة « أورفا » . وبعد ما وصل إلى بلد الخليل عليه السّلام يتوفّى في اللّيلة الثانية ليلة الثالث

والعشرين من آذار عام ألف وتسعمأة وستّين، وليلة السّابع والعشرين من رمضان المبارك ، ليلة القدر، سنة ألف وثلاثمأة وتسع وسبعين هجريّة . ويدفن في قبّةٍ شُيِّدت قديماً من طرف بعض الصّالحين ، بمسجد مقام الخليل، الذي يسمّى بـ (دَرْگاه) . ويصلّي عليه عشرات الآلاف من المؤمنين . ويداوم بعض خواص تلامذته عند قبره الشريف . ويداوم الزائرون على تلاوة القرآن المجيد إلى شهرين . وبعد شهرين من وفاته يقع انقلاب عسكريّ يقضي على حكم حزب الدّيموقراط . فينبش ليلةً قبره الشريف سرّاً ، بعد منع التجوّل ليلاً . وتخرج جنازته عن الضّريح المنهدم . ويقال : إنّه أُتي بها إلى مكان مجهول من بلاد الأناضول . لا يعلم الغيب إلاّ الله . وقبره إلى اليوم مجهول لا يعرفه النّاس . ولكنّ رسائله النّورية تتلا بملايين الألسنة ، وتحفظ في ملايين القُلوب ، وتنشر بمآت آلاف النّسخ بين جميع طبقات المسلمين في بلاد

الأناضول والكردستان ، وفي سائر بلاد المسلمين ، وفي آوروپا وأمريكا ، نشراً رسمياً . وحول تلك الأنوار ، ملايين من طلبة النور . والحمد لله ربّ العالمين ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهَ . . وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ . .

وبعد هذا الانقلاب العسكريّ بدأت الاعتقالات بين تلامذة النور خاصّة . وشرعت المحاكم العرفيّة بالتّحقيق في أجزاء النور ، وفي قضية حركة النّور .

وأنتجت المحاكم كلّها ، بحمد الله تعالى ، براءة رسائل النور وطلبتها ، وذلك بتجلّي العدل على أيدي الحكّام العسكريّين العادلين والمحبّين للعدل والحقّ ، بوجدانهم الطّاهر النّزيه عن البغي والباطل . فظهر الحقّ بحكمهم العادل . وزاد عدد قرارات براءة المحاكم العادلة ، على المآت .

وأمّا الآن فقد بلغ عددها إلى ألف محكمة عادلة برّأت

ساحة رسائل النّور بالحق والعدل . وانتهت المحاكمات . ولله الحمد .

وتنتشر الأنوار يوماً فيوماً ، وتتسّع دائرتها دائماً . . .

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلاَ أنْ هَدَانَا اللَّهُ . . وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم .

محمّد زاهد الملازكرديّ
بيروت ـ أزهر لبنان
١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي يقرأ الفاتحة عند ضريح السلطان محمد الفاتح رحمه الله ، بعد خروجه من صلاة الجمعة ، عام (١٩٥٢ م) إذ أتى إلى إسطنبول للمحاكمة في حق كتابه (دليل الشبيبة) الذي طبعه حينئذ تلامذة الجامعة بإسطنبول . . .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، إذ ينـزل من مدارج الفنـدق بأنقره ، مع بعض تلاميذه وأصدقائه ، عام (١٩٥٩)م . . .

نموذج من حياة الإمام
بديع الزّمـان سعيد النّورسـيّ
رضـي الله عنه ،

بقلم العالم الفاضل الأستاذ الدكتور
محمّد سعيد رمضان البُوطيّ ،

أستاذ كلّية الشريعة ، وعميدها
بجامعة دمشق ، عافاه الله تعالى ،
اقتُبِس من كتابه « من الفكر والقلب »

اعتذار :

لقد تصرّفنا في هذا القسم ببعض تعديلات . فنرجو من فضيلة الدكتور ، عفو القصور . . المصحّح . .

الإمام بديع الزّمان سعيد النورسيّ
أُعْجُوبَةُ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي تُرْكِيَا .

- ١ -

(*) لستُ أدري هل سبقني إلى الكتابة عن حياة الإمام بديع الزّمان ، في محيطِنا العربيّ ، أحدٌ أم لا ؟ غير أنني أشعر وأنا أُمسك القلم ، لأخطّ ترجمته في هذه الصفّحات القليلة ، بنشوةٍ تهزّ أعماق نفسي ! . . إنني أحسّ أني أُصوِّر بهذا ما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلم الصّادق في إسلامِهِ ، والدّاعي الصّادق في دعوتِهِ ، والعالم المخلص في عملِه ، سواءٌ من النّاحية الاجتماعيّة والسّياسيّة والخلُقيّة وغيرها . .

(*) كتب هذا البحث عام ١٩٦١ .

غير أنَّ هذا ليس هو وحده ، سببَ ما أشعر به من سعادةٍ ونشوةٍ وأنا أُترجم حياة هذا الدّاعية الكبير ، ربما كان جلّ السبب ، أنني أعثر في حياتِه العظيمة الحافلة بمظاهر الإخلاص والجهاد والتّفاني ، على ما لم نعُد نعثر على شيءٍ منه في حياة معظم علماءِ الإسلام ودُعاتِه في بلادنا اليوم . فلا بدع إذا كانت سعادتي بما أكتبُه عن حياة « بديع الزّمان » تفوق سعادة الصّادي الذي جفّت منه الكبد عطشاً في بيداء منقطعة ، عندما يلتمع أمام عينيه بريق ماءٍ فرات .

وإذا كانت سنّةَ الله في كونِه ، اقتضتْ ـ كما يقولون ـ أن يبعث بين كلّ فترةٍ وأُخرى من الزّمن ، مَن يجدّد للمسلمين أمر دينهم ، ويوقظ فيهم دواعي الجهاد، ذوداً عن شريعةِ الله ودينِه ، فإنَّ « بديع الزّمان » هو المجدّد الذي أكرم الله به المسلمين في تركيا إبان حكم (كمال أتاتورك) . فقد كان رمز المجاهدة الإسلاميّة لحكمِه ، وكان المحور الذي استقطب حوله ملايين الشبّان المسلمين للصّمود في

وجهِه . ولقد مات (مصطفى كمـال أتاتـورك) ، وأتبـاع « بديع الزّمان » يكثرون ويزيدون .

وحينما تُوفّي « بـديع الزّمـان » في عام (١٩٦٠ م) . كان أتباعُـه يطرقـون أبـواب الحـكم في تركيا من جميع أطرافِه ، وعلى الرّغـم من أنّ الأجانـب تداركت الأمـر ، فقلبت الأوضاع ، وعملت على وضع الحكم من جديدٍ في أيدي « الكماليّين » ، فإنّ أتباع « بديع الزّمـان » والأمنـاء على عهـده وجهـاده ، هم الـذين يجمعـون أمرهـم اليوم للإصلاح ، متّخذين من قواعد كلٍّ من التربية والصّحافـة والجيش منطلقاً إلى الهدف العظيم .

إنني أضع بين يدي القارىء هذه الخلاصة عن حياة هذا المسلم العظيم ، راجياً أن تمكّنني الفرصة فيما بعد من بسط ترجمتِه في كتابٍ مستقلٍّ يفي بهذا الغرض .

* * *

مولده وصدر حياته :

وُلد بتاريخ (١٢٩٢ هـ = ١٨٧٣ م) في قريةٍ صغيرةٍ تسمّى « نُورْس » تابعةٍ لقضاء « هيزان » في ولاية « بدليس » في بلاد الكردستان ، من أبوين كرديّين . وبعد أن تمّ له من العمر تسع سنوات ، بدأ يتّجه إلى طلب العلم متأثّراً بتوجيهات أخيه الكبير : « الملا عبد الله » . فراح يتنقّل بين مختلف المدارس المبثوثة حوله في القُرى والأقضية ، ولم يكد يتمّ له من العمر ثمانية عشر عاماً ، حتى أصبح في عداد فحول العلماء . فقد أتقن في هذه الفترة جميع ما مرَّ عليه من علوم الآلة : (علوم اللّغة ، والعلوم العقليّة على اختلافِها ، وعلم الأصول والفقه ، وعلوم القرآن) . وانكشفت مواهبُه عن ذكاءٍ حادّ ، وحافظةٍ عجيبةٍ مذهلة ، فحفظ جملةً من مقامات الحريري ، وحفظ القاموس المحيط إلى حرف « السّين » ، وحفظ كتاب جمع الجوامع في أُصول الفقه في ما لا يزيد على اسبوع واحد ،

حتى أصبح اسمُه حديث المجالس بين أهل العلم وطلاّبه ، وسرعان ما أصبح يلقّب بينهم بـ « سَعِيدِ مشهُورْ »[1] .

ولقد أيقظتْ مزاياه هذه ، عواملَ الحقد عليه في نفوس كثيرٍ من أهل العلم الذين لم تتحلّ نفوسُهم بمزايا المسلمين ـ وما أكثر هؤلاء في كلّ عصرٍ ومكان ـ فراحوا يحدقون به ممتحنين له مرّةً ، وواشين به إلى بعض الأمراء والولاة أُخرى ، ولكنّ علمَه الغزير وتواضعه الجمّ كانا يُنجيانه ممّا يُراد به من سوءٍ. ولقد أحدقَ به ذات يومٍ بعضُهم قاصدين إيذاءه ، فقال لهم : « اقتلوني . ولكن أرجو أن تُحافِظوا على مكانة العلم وسمعتِهِ ! » ، وسمع والي مدينة « سعرت » بالأمر ، وكان يقدّر « بديع الزّمان »

(١) بالكرديّ : أي سعيد المشهور .

فقصد الى معاقبةِ الذين حاولوا إيذاءه ، ولكنّه هو عارضه قائلاً : « نحن طلاّب العلم نتخاصم ونتراضى ، ولذا فلا أرى من الخير أن يتدخّل في شأنهم مَنْ ليس منهم ، على أنّ الخطأ كان مني ! . . » قال هذا ، وعمره لا يزيد على الثامنة عشرة !

شكل حياته في هذه الفترة :

بدأ سعيد النّورسيّ الشابّ ، حياتـه بالزّهـد والتّقشّف وسلوك سبيل الحكماء والإشراقيّين . وهذا السّبيل الـذي اختاره (سعيد النّورسيّ) لنفسِه منذ فجر شبابه ـ وإن كان الإسلام لم يُلزِم أهله أن يحصروا أنفسهم فيه ـ يدلّ على أنّه كان منصرفاً بنفسِه وتفكيره ، منذ صباه عمّا تنشغلُ به نفس كلّ إنسانٍ في هذه السنّ ، وعلى أنّ أُمـوراً جبليّة أُخـرى كانت تستأثر بفكرِه وهمّه .

وكان يتّخذ من مبدأ : « دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبُك »

دستوراً لحياتِه ، فكان يسيرُ بهـذا الدّستـور نحـو الـورع والحيطة في جميع شؤونِه ، حتى إنّه كثيراً ما كان يقتـات بالأعشاب ، حينما لا يتوفّر له القُوت المطهّر من كلّ ريبة .

وكان يحـرص دائمـاً علـى أن يتـرك شيئـاً من طعامِـه للنّمل ! . . فإذا سُئل عن ذلك أجاب : (إنها مكافأة مني لنظام هذه الأمّة وجمهوريّتهـا الرّائعـة)[1] . وكان شغوفـاً بطول الإقامـة بالليل عنـد قبـر (الشيخ أحمـد الخانـي) الشّاعـر الـكرديّ المشهـور[2] ، علـى الرّغـم من الوحشـة المحيطة حول القبر .

غير أنّه كان إلى جانب هذا مُصارِعاً عظيماً ، ذا روحٍ

(١) كل ما يأتي بين قوسين فهو من نص كلام (بديع الزمان) بعد أن ترجمته إلى العربية . المؤلّف .

(٢) من أبرز مؤلفات هذا الشاعر ديوان قصة « ممو زين » وقد قمت بترجمتها إلى العربية . المؤلّف .

عسكريَّةٍ عالية. وكان يتحلّى في ذروة هذه الصّفات، بشجاعةٍ نادرةٍ تجعله لا يُقيم لمخلوقٍ وزناً على الرّغم من صغر سنّه. دخل ذات يومٍ على رئيس عشيرة « ميران » مصطفى باشا، وكان ظالماً يستهين بحقوق الله وحقوق النّاس. فلمّا نظر إليه الباشا قال له:

لماذا جئت إلى هنا؟

فقال: جئتُ لإرشادك، فإمّا أن تسمع وتطيع، وإمّا أن أقتلَك!..

فغضب الباشا.. ثمّ نظر إلى سيفٍ بيد « بديع الزّمان »، قائلاً:

بهذا السّيف القذر تقتلني؟

فقال: السّيف لايقطع. وإنما اليد..

فقال الباشا مغضباً: لي علماء كثيرون في هذه الجزيرة، فإن تغلّبتَ عليهم أجبتُك إلى ما تقول، وإلاّ

فسألقيك في نهر الفرات .

فقال (بديع الزّمان) : كما أنّه ليس من شأني أن ألزِم جميع العلماء ، فليس من شأنِك أن تلقيني في البحر . ولكني أُريد منك إن أجبتُ على أسئلة العلماء ، أن تكافئني بإعطائي بندقيّتك ، فإن لم تجبني إلى نصيحتي قتلتُكَ بها ! .

وجمع الباشا له العلماء . . وكسب (بديع الزّمان) ، الشرط . . وتاب الباشا على يده توبةً صادقة .

بدء اشتغاله بالسياسة :

أخذ (سعيد النّورسيّ) يهوى حياة السّياسة منذ أن ناهز العشرين من العمر ، وبدأت حياتُه هذه في مدينة « ماردين » . ولمّا رأى واليها صراحته وقوّته في معارضة الأمور ، نفاه إلى مدينة « بدليس » ، ولكن سرعان ما تمكّنتْ صداقةٌ قويّة بينه وبين والي « بدليس » ، جعله

يعيشُ مكرَّماً معزَّزاً في قصر الوالي . . .

وفي صدر حياته هذه ، شعر بالحاجة الى العلوم الكونيَّة والطّبيعيّة التي لم يكن قد تمكّن فيها بعدُ ، فانكبَّ على مطالعتها . وفي فترةٍ قصيرةٍ أتقن (علوم التاريخ والجغرافيا ، والرّياضيّات والجيولوجيا والفلسفة القديمة والحديثة) . وكان هذا النّبوغ العجيب مثار حديث الصّحف والجرائد ، ثمّ كان سبباً لأن يتّفق العلماء على منحِهِ لقب « بديع الزّمان » .

وكان بحكم حياتِهِ السياسيّة الجديدة يطالع الجرائد كلّ يومٍ . فاطّلع ذات يومٍ في بعضِها على خبرٍ مثير ، وهو أنَّ وزير المستعمرات البريطاني قال في أحد الاجتماعات الخاصّة :

ما دام القرآن بين أيدي المسلمين معزَّزاً ، فإنَّه سيعوق سبيلنا ، لا بدَّ من إخفاءِ هذا الكتاب عنهم أوّلاً ! . .

فثار (بـديع الزّمـان) ، وأعلن لمـن حولـه أنّـه سوف يكرّس حياته كلّها لخدمة القرآن والكشف عن المزيد من مظاهر إعجازه[1] .

ومـا هو إلاّ أن قصـد « إستانبـول » سعياً وراء تأسيس مدرسةٍ تضاهـي الجامـع الأزهـر ، باســم « المدرســة الزّهـراء » . ومـا إن حلّ في « إستانبـول » حتـى راحـت الصّحفُ تتحدّث عنـه ، وكتبـت إحداهـا هذه العبـارة : (طلع من جبال كردستان الوعرة ، في آفـاق إستانبـول ، إنسان يحمل شعلةً ناريّةً من الذكاء العجيب) .

وصــادف أن كان (الشّيخ بخيت) مفتــي الــدّيار المصريّة ، إذ ذاك قادماً إلى إستانبول في زيارةٍ سياحيّة ، فاجتمع (ببديع الزّمان) في بعض المجالس ، ودار بينهما

(١) وقال : « سأعلن علوّ القرآن ، للعالم بإذن الله » . . المصحّح . .

حديثٌ طويل ، ثمَّ وجّه (الشيخ بخيت) إلى (بديع الزّمان) هذا السؤال :

ـ ما قولكم في الدّولة العثمانيّة والأمّة الأوروبيّة ؟

فأجابه بديع الزّمان باللّغة العربيّة :

« إنَّ آوربا حاملةٌ بالإسلام ، فستلد يوماً ما . والدّولة العثمانيّة حاملةٌ بآوروبا . فستلد يوماً مّا » .

فقال (الشّيخ بخيت) معجباً : إنَّ مثل هذا الشّابّ لا يُناظَر . . إنَّ جواباً وجيزاً بليغاً صادقاً مثل هذا الجواب لا ينطق به إلاَّ مَن كان مثل (بديع الزّمان) ! . .

وحينما ظهرت في سنة (١٩٠٩) حرّية « السلطان محمّد رشاد » وجمعيّة الاتحاد والترقي ، التي كانت تتقنَّع بالدّين ظاهراً ، وتُخفي رجس الماسونيّة ، والإلحاد باطناً ، بادر (بديع الزّمان) ، فألّف جمعيّةً إسلاميّةً باسم « الاتحاد المحمّدي » سرعان ما انضمَّ إليها من شتّى أطراف الدّولة

العثمانيّة آلاف النّاس .

ولقد ظهرت براعته السياسيّة في أسلوبه الـذي اتخـذه لمعارضة جماعة الاتحاد والترقي ، لقد رأى أنّ المعارضة الصّريحة للاتحاديّين لا تفيد ، لافتتان بسطاء المسـلمين وكثير من الشّيوخ ، بالمظهر الذي اتخذوه لأنفسهـم ، إنّ معارضة مثل هذه الجمعيّة ، تعني لدى أُولئك البسطاءِ ، محاربة الإسلام. فراح (بديع الزّمان) ينادي بنفس الشّعار الذي ينادي به الاتحاديّون ، وهو : الحريّة ، ولكنّه أخـذ يلحّ على ربط هذه الحريّة بشرع الإسلام ومبادئه وعقيدته ، وراح ينشر المقالات الرادعة، ضارباً فيها على هذا الوتر ، بعنفٍ وشدّة . وكان ينادي بلهجة المنذر قائلاً :

إن لم نلتجىء إلى الحريّة التي خطّ طريقَها الإسلامُ ، فإنّ استبداداً واستعباداً عظيمين سيلحقان بنا ، وسنصبح ضحيّةً للحريّة عمّا قريب.

كان هذا الأسلوب هو السّبيل إلى تنبيه النّاس لخطرٍ يجثم في رأس الاتحاديّين ، في الوقت الذي لا يستطيع الاتحاديّون أخذه بأيّ جريرة ، لأنّه يُنادي بشعاراتهم ذاتها ، بيد أنّه كان يسعى بهذه الشّعارات نحو تكتّلٍ إسلاميٍّ سريع ، على حين أنهم كانوا يستخدمونها لشلّ قوّة الإسلام ، ووضع القوميّة الطّورانيّة مكانها .

ولقد أثار عملُ (بديع الزّمان) هذا ، مخاوف الماسونيّين الذين كانوا من وراء الحركة الاتحاديّة ، فأرسلوا رئيس محفلهم الثريّ اليهوديّ الكبير : « قَرَصُّو » لمقابلتِه ، ولكنّه ما لبث أن خرج من عنده قائلاً لرفاقِه :

لقد كاد هذا الرّجل العجيب أن يزجّني في الإسلام بحديثِه لو بقيتُ عنده خمس دقائق .

« وقَرَصُّو » هذا هو أوّل صهيونيٍّ ماسونيٍّ عمل على

قلبِ الخلافة العثمانيّة ، وخلع « السّلطان عبد الحميد » ، واستلاب فلسطين .

المحاكمة الأولى لبديع الزمان :

لم يجد الاتحـاديّون من سبيلٍ ، أمامهـم أخيراً سوى القبض على (بديع الزّمان) ، فقُبض عليه في حادثة (٣١ مارس (آذار) ١٩٠٩) التي أُعدم فيها ١٥ عالماً مسلماً . وقُدّم إلى المحكمة ذاتها التي حوكم أمامها هؤلاء ، ولعلّ القصد كان تخويفه من العاقبة التي حلّت بهم . .

وبعد أن حُكم على الخمسة عشر رجلاً بالإعـدام ، توجّه رئيس المحكمـة « خـورشيد باشـا » إلـى (بـديع الزّمان) قائلاً : وأنت أيضاً تدعو إلى الشريعة؟ وطلب منه أن يتكلّم بما لديه .

فقام وألقى على سمع المحكمة كلاماً رائعاً ، كان من

الجدير أن أنقلَه كلّه للقارىء لولا ضيق الصفّحات . . كان من جملة ما قال :

« . . لو أنَّ لي ألف روح لما تردّدتُ أن أجعَلها فداءً لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام . . لقد قلتُ في حادثةٍ إنني طالب علمٍ . . ولذا فأنا أزن كلّ شيءٍ بميزان الشريعة ، إنني لا أعترف إلاّ على ملّة الإسلام . . إنني أقولُ لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمّونه السّجن ، في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة ، وليسمعه معكم العالم كلّه .

لقد حان للسّرائر أن تنكشف وتبدو جليّةً من أعماق القلب . . فمن كان غير مَحْرَمٍ فلا ينظر إليها .

إنّني متهيّىءٌ بشوقٍ عظيمٍ للقدوم إلى الآخرة ، وأنا حاضر للذّهاب مع هؤلاء الذين عُلِّقَتْ مشانقُهم ! . . تصوّروا ذلك البدويّ الذي شاقه الحديث عن إستانبول

للقدوم إليها، إنّني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها . . إنّ نفيكم إيّاي إلى هناك لا يُعتبر عقوبة . . إن كنتم تستطيعون ، فعاقبوني المعاقبة الوجدانيّة . .

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيّام الاستبداد . . والآن فإنها تعادي الحياة، وإذا كانت الحكومة هكذا، فليعش الجنون . . وليعش الموت . . وللظّالمين فلتعش جهنم !

والآن . . فلأبدأ بتعداد جناياتي التي استوجبتْ وقوفي في هذا المكان :

الجناية الأولى : إنني في السّنة الماضية ، وعند بدءِ عهد « الحريّة » أبرقتُ نيفاً وخمسين برقيّة إلى مختلف الولايات [1] الشرقية ، والعشائر الكردية ، هذا نصّها :

(١) هي بلاد الكردستان . . المصحّح . .

(إذا كانت مسألةُ الدّستور والحريّة التي سمعتم بها ، عبارةً عن العدالة والمشورة الشرعيّة الحقيقيّة ، فاستقبلوا ذلك بقبولٍ حسن ، واسعوا للمحافظة عليه ، ذلك لأنّ سعادتَنا الدّنيويّة ، إنما هي باتّباع دستورٍ عادل ، ونحنُ من أشدِّ النّاس ضراراً من الاستبداد وأضراره) .

واستقبلت أجوبة هذه البرقيّة من مختلف الجهات بروحٍ إيجابيّةٍ وموافقةٍ تامّة .

إذاً . . فقد كان هذا الذي أقدمتُ عليه من تنبيه الأكراد عن غفلتهم ، ـ كي لا يأتي مَن قد يتسلّل اليهم باستبداد آخر من نوعٍ جديد ـ جريمةً أُعاقَب عليها ! . .

. . . .

الجناية الثالثة : كان في مدينة إستانبول ما يُقارب عشرين ألفاً من الأكراد الذين يتّسمون بصفاء القلب والنيّة ، خشيتُ عليهم من خداع بعض الحزبيِّين ودعاة

المبادىء الهدّامة والمضلّلة . فكان أن اتّصلتُ بهؤلاءِ الأكراد ، وطفتُ عليهم في نواديهم ومراكزهم ومجتمعاتهم ، وأدخلتُ في أفكارهم الصّورة الحقيقيّة لمعنى الحياة الدستوريّة بشكلٍ جعلهم في غاية الحماس لها . لقد أعلمتُهم أنَّ الاستبداد والظّلم نتيجتان للتحكّم ، وأنَّ الدّستور والعدالة الاجتماعيّة نتيجتان لحكم الشريعة الإسلاميّة ، وأنَّ طاعةَ الرّسولﷺ هي في طاعة خليفتِهِ إن أطاع نبيّنا ، وسلك على سنّته . . إنَّ عدوَّنا يتمثّل في الجهل والفقر والاختلاف . . وإنَّ علينا أن نقابل هؤلاء الأعداء بسلاحٍ من الصّناعة والمعرفة والاتّفاق .

وهكذا كان لنصيحتي أثرها الايجابي في نفوس آلاف البسطاء من النّاس . . وهكذا أصبحتُ بسبب ذلك متلبّساً بجريمةٍ أودت بي إلى هذا المصير ! . .

الجناية الرابعة : كلّنا يعلم أنَّ أوربا ظلّت تخيّل

للبسطاء فينا ـ مستعينةً بما نُعانيه من الجهل والتخلّف ـ أنَّ الشريعة الإسلاميّة في جملتِها دعامةٌ لحياة الاستبداد والتعسّف ! . . ولا ريب أنَّ هذه الجناية الكبرى على الحقيقة تؤلم قلبي أشدَّ الألم .

لقد أردتُ ـ في سبيل الكشف عن هذا الافتراء ـ أن أكون في مقدّمة المتحمّسين للدّستور ، ومن أشدّهم دعوةً إليه ، باسم الشّريعة الإسلاميّة نفسها .

ولكني خشيتُ في الوقتِ ذاتِه أن يتولّد من دعوى الحياة الدّستوريّة هذه ، استبدادٌ آخر من نوعٍ جديد ! . . ولذلك ناشدتُ الجموعَ الغفيرة ، في جامع (أيا صوفيا) ، بكلّ ما لديَّ من قوّةٍ ، وهتفتُ فيهم أن اجعلوا من الشريعةِ الإسلاميّة تفسيراً للدّستور ، وأقيموا بينهما رابطةً وُثْقى . . لا تدعوا الملاحدة والمنافقين ودعاةَ اللادينيّة يدنّسون بأيديهم القذرة ، هذا الشعار المبارك ،

ويتّخذون منه وسيلةً لمقاصدهم وأمانيهم الحقيرة . . لذا يجبُ أن تتقيّد الحريّة بآداب الشّريعة وحكمِها . فالحريّة المطلقة عن أيّ قيدٍ لا تؤدّي بصاحِبِها إلى غيرِ السّفاهة والفوضى المؤلمة . . ولتكن قبلتُنا في البحثِ عن نُظم العدالة الاجتماعيّة ، محصورةً في المذاهب الأربعة، حتى تكون صلاتُنا إليها صحيحة .

لقد أوضحتُ لهم أنّ من السّهل جداً استخراج مقوّمات العدالة والسّعادة من هذه المذاهب الأربعة وحدها ، في كلّ مكانٍ وزمان .

وبما أني قمتُ بواجبي هذا (بوصفي طالب علمٍ مسؤولٍ عن إبراز هذه الحقيقة) فقد ارتكبتُ جريمةً استوجبتْ لي هذا التّعزير ! . .

الجناية الخامسة : أنّني تصدّيتُ على أصحاب الصّحف، وقلتُ لهم : إنّ على الأديب أن يكون متأدّباً في

دعوتِه ، وأن يكون متأدّباً بالأدب الإسلاميّ . وخصوصاً إذا كان سمعَ هذه الأمّة ولسانها . وإني أقول لكم : كما أنّ الرّجل الوقور لا يناسبه أن يرتدي ثوبَ الرّاقصات ، فكذلك لا يُناسب إستانبول أن ترتديَ أخلاقَ أوربا . . وهكذا كنتُ بسبب ما قمتُ به من تصحيحٍ للمغالطات وخداع الفكر والقول متلبّساً بجريمةٍ وأيّ جريمة ! . .

. . . .

الجناية السابعة : إنّني سمعتُ عن جمعيّةٍ تشكّلتْ باسم « الاتحاد المحمّدي » في هذه المنطقة . ولقد ساورني القلق إلى درجةٍ قُصوى من ان يأتيَ البعضُ بسلُوكٍ خاطىءٍ ، أو يهدف إلى غرضٍ سيّىءٍ تحت هذا الشّعار العظيم ! . . ولكنّي عرفتُ فيما بعدُ أنّ الذين يُسيّرون نظام هذه الجمعيّة ، رجالٌ من أصحابِ الفضل والإخلاص ، وأنهم لا يبتغون بها شيئاً غير إحياء السّنّة المحمّديّة

وتعريفِ النّاس بها ، وأنّه لا علاقة لها بأمور السياسة مُطلقاً .

ولكن فكّرتُ ثانياً ، وقلت : إنَّ هذا الاسم حقٌّ عامٌّ للمسلمين كلّهم . فهو غير قابلٍ لأيّ نوع من التّخصيص أو التّقييد . فكما أنّي منسوب بجهةٍ ما ، إلى سبع جمعيّات دينيّة ، لأنّي وجدت مقصدهم واحداً ، كذلك انتسبت الى ذلك الاسم المبارك . غير أنّه ينبغي أن أُبادر ، فأعرّفكم بهذه الجمعيّة التي انتسبتُ إليها . وإليكم بياناً موجزاً لها .

إنها الدّائرة التي تتّسع لأربعمائة مليون من أعضائها المنتسبين إليها ، والعاملين من أجلها . . وبياناتها التي تنشر نظمهم وأفكارهم ، تتمثّل في عموم الكتب الإسلاميّة التي تعكس حقيقةَ الإسلام وجوهره . . أمّا صحافتُها ، فتتمثّل في كلّ صحيفةٍ تتّخذ من إعلاءِ كلمةِ الله شعاراً لها ، ومقصداً لسبيلها . مركز هذه الجمعيّة ومنتداها ،

عامّة ما ينتشر في بقاعِ الأرضِ من مساجد ومدارس لتعليمِ الإسلام ، وزوايا لذكر الله وعبادتِه .

جمعيّةٌ هذا شأنها ، لا بدَّ أنَّ رئيسَها إنما هو فخر الكائنات محمّد عليه الصّلاة والسّلام . ومسلكها التربويّ : هو أن يجاهدَ كلٌّ عضوٍ فيها ، نفسَه التي بين جنبيه ، حتى يجعل منها قدوةً صادقةً له عليه الصَّلاة والسّلام . ونظامها يتمثّل في الوحي الإلّهي والسّنّة النبويّة . وسيفها في المعارك ، الحججُ القاطعة ، ذلك أنَّ التغلّب الحقيقيّ إنما يكونُ بالإقناع العقلي ، لا بالإكراه الحسّي . إنَّ تحرّي الحقيقة ليس له من سبيلٍ إلاَّ سبيل المحبّة والأخلاق الحميدة . ولذلك فإنَّ تسعةَ أعشار ديننا الإسلامي يتمثّل في مقوّماتِ هذين المبدئين ، والعشر الأخير هو وحده الذي يتمثّل في السّياسة ، وهذا ما نوكّلُه إلى أمانةِ أولي الأمر ووجدانهم .

فأنا أفخر بأني واحدٌ من أصغر أفراد هذه الجمعيّة ، وبأني واحدٌ من أولئك الذين يُعلِنون دائماً عن التشبّث بمبادئها ونظامها[1] .

وإذْ قمتُ هكذا بأهمّ ما هو مسئولية مجلس النّواب والأعيان والوكلاء ، فقد جنيت . . .

. . . .

الجناية الحادية عشرة : فهي ما كنتُ ولا أزالُ ألاحظه بألمٍ شديد ، من حال الولايات الشرقيّة ، وما هي فيه من التخلّف[2] . لقد كنتُ أشعرُ دائماً أنّ هذه الولايات بحاجة إلى أن تتفتّح أعينُها على شيءٍ من المدنيّة الحديثة ،

(١) لم يوف فضيلة الدكتور ، بحق التعريف ، لأنّه حذف منه جملاً لازمة كثيرة ، على ما هو في الأصل . . المصحّح . .

(٢) يقصد بالولايات الشرقية ، تلك الولايات التي يقطنها الأكراد، مثل « وان » بتدليس ، وماردين » وغيرها . المؤلف .

والعلوم والفنون الجديدة .

ورأيتُ أنَّه لا بدَّ لتحقيقِ ذلك من إقامة مدرسةٍ شرعيّةٍ كبرى ، لتكون هي المعين لهذه النّهضة . وأن يكون السّير إليها بإشراف علماءِ الشّريعة الإسلاميّة وضمن حدودها .

لقد حملتُ هذه الأمنية وتقدَّمتُ بها إلى دار السعادة (إستانبول) ، مؤمّلاً سعادة الإجابة عليها . ولكن كان الجواب على طلبي هذا من كبير الأمناء ، أن صرفني بصلةٍ من المال ، والإكرام ببعض الوظائف الدّينيّة ! . .

ولعلَّ خطيئتي إذ ذاك أنَّني رفضتُ ذلك الإكرام ولم أقبل منه شيئاً . لقد كانتْ أُمنيتي التي قدمتُ لأجلِها ، تعدل عندي أموالَ الدّنيا كلّها . . وبوسعي أن أعترفَ بأنَّني خالفتُ اللّباقة المتّبعة في رفضي ذاك ، ولكنني رأيتُ ان أجعل حتى ما يقضي به الفكر والعقل ، في مثل هذا الحال ، فداءً لحريتي الشّخصيّة . ولقد كان عليَّ ،

تحقيقاً لهذا المبدأ أن أُفضّل التشبّث بحرّيّتي تلك ، على أن أخضع لبعض المنافع التي تستهدفُ إذلالي وأسري في قبضةِ الاستبداد الذي يصرّف كلّ شيءٍ طبق حكمِه وهواه ! . .

إنني أسعى منذ سنة ونصف ، إلى نشر المعارف في تلك الولايات الشرقيّة ، وإنّ أكثر أهالي استانبول يعلمون هذه الحقيقة . . إنّني أقولُ لكم بصراحة : لستُ في أصلي إلاّ ابن أحد الحمّالين ، وعلى الرّغم ممّا تيسّر لي من أسباب الدنيا ورفاهيتها ، فإنّ شيئاً من ذلك لم يستطع أن ينتزع عني هذه الحقيقة يوماً ما ! . وإنّ أجمل ما تتعلّق به نفسي من بقاع الدّنيا ، تلك الجبال الشّاهقة الخضر التي ولدتُ في سفوحها ، ومع ذلك فقد تركتُها ورائي ، وجئتُ أتنقّل بين جدران السجون والمعتقلات أملاً في تحقيق الخيرِ لأمّتي وأهلي ! . .

ومع ذلك ، فقد عددتم هذه الأعمال التي ساقتني هذا المساق، جريمةً كبرى اقتضتني أن أقف مجرماً أمام محكمةٍ كبرى مثل هذه المحكمة ! . . »[1] .

وسرعان ما نشرت الصُّحف خطابه هذا الذي يزيدُ على عشر صفحات كبار ، وتناقلتْه الالسُن ، وتجمهر آلافُ المسلمين من أتباع (بديع الزّمان) وغيرهم حول مبنى المحكمة يهدرون بالوعيد . . ويهتفون بملء الحناجر :

فلتعش جهنم للظّالمين . . وليعش الموت للمخرّبين . . .

وكانت النتيجة أن خلّي سبيله ، وهو ينتظر الإعدام . .

---

(١) من نص بيانه الذي ألقاه في المحكمة العرفية ، بعد أن ترجمته من اللغة التركية . المؤلّف (*) .

(*) ولكن قصّر المترجم ، في ترجمته،وحذف من الأصل ما لا يحذف منه ، لأنّه يخل بأصل مراد « بديع الزمان » . المصحّح . .

لم يدم (بديع الزّمان) في إستانبول كثيراً بعد ذلك ، حيثُ اتجه إلى « وان » ، وهناك انصرف للتّعليم والتوجيه والتأليف .

بديع الزمان القائد الحربي المتطوّع :

ولمّا قامت الحرب العالميّة الأولى ، تطوَّع فيها برتبة ضابط كبير ، وكان يعود في أُمسيات الحرب إلى معسكره ، حيثُ يتحلَّق من حوله طلاّبه فيدارسهم علوم القرآن ، ومن أعجب الأمور أنّه ألَّف في تلك الغمرة كتابه الرّائع : (إشارات الإعجاز) وهو أوَّل مؤلّفٍ له بالعربية .

بديع الزمان أسيراً في يد روسيا :

وقد وقع (بديع الزّمان) أسيراً في تلك الأثناء بيد الرّوس . وذات يومٍ دخل إلى معسكر الأسرى قائدٌ روسي . فقام إليه جميع الأسرى ما عدا (بديع الزّمان) .

فنظر إليه القائد قائلاً : لعلك لا تعرفني !

فقال (بديع الزّمان) : بل أعرفك ، إنّك ذلك الـذي تُدعا : نقولا نقولاويش .

فقال القائد : إذن فأنت تستهين بعظمة روسيا ! . .

فقال : ليس كذلك ، ولكنّ الله الذي أؤمن به ، قضى أن يكون المؤمنون اعلى من غيرهم ، وهـذا يمنعنـي من القيام .

وكان من نتيجة ذلك أن حُكِم عليه بالإعدام ، وحينما جيء به للتنفيذ ، فوجىء بالقائد نفسه يتقدّم إليه قائـلاً : إنّني أُجِلّ فيك هذا الدّين الذي أعزّك إلى هذا الحد ، وعفا عنه .

وبعد ذلك نُقل إلى سيبيريا ، وبقي هناك فترةً طويلـة يعاني البرد القـارس . ولكنّـه استطـاع أن يهـرب أخيراً .

فوصل إلى استانبول بعد جهدٍ ، عن طريق ألمانيا ثمّ فينّا ثمّ بلغاريا .

وبعد انتهاء الحرب العالميّة الأولى استولى الإنكليز على إستانبول عام (١٩١٨) ، ووجّهوا ستّة أسئلة إلى المشيخة الإسلاميّة عن طريق كنيسة (أنكليكان) أُريد منها البدء بسلسلة مؤامراتٍ على الإسلام . فوجّهت المشيخة الإسلاميّة هذه الأسئلة بدورها إلى (بديع الزّمان) ، ليجيب عليها بستمائة كلمة حسب طلب الانكليز ، فكان جواب (بديع الزّمان) :

« إنّ هذه الأسئلة لا يُجاب عليها بستمائة كلمة ، ولا بستّ كلمات ، ولا بكلمةٍ واحدة ، بل ببصقةٍ واحدة على أفواه السّائلين » .

فحُكم عليه بالإعدام . . ثُمّ عُدِل عن ذلك خوفاً من ثورة الأناضول .

موقف (بديع الزّمان) من (مصطفى كمال باشا) :

حينما تمَّ عصيان الأناضول ، وكان (مصطفى كمال) على رأس الحركة ، استُدعي (بديع الزمان) سنة (١٩٢٠) إلى أنقرة لتكريمه في احتفالٍ كبير ، ولكنّه فوجيء حينما وصل إليها بخيبة أملٍ كبرى ، إذ شعر بالاتجاه نحو معاداة الشّريعة الإسلاميّة ، وحينئذٍ قاطع احتفال تكريمه ، وسرعان ما اختفى من بينهم . ثمَّ أرسل بياناً مطوّلاً إلى أعضاء المجلس النيابي الذي كان (مصطفى كمال) رئيساً له ، ضمّنه نصائح لهم في عشر فقرات . وجعل عنوانه هذه الجملة :

« إعلموا أيها (المبعوثون)[1] أنّكم مبعوثون ليومٍ عظيم » .

---

(١) كلمة مبعوث تستعمل في اللغة التركية بمعنى النائب . المؤلّف

وكان من تأثير هذا البيان الذي تولّى إلقـاءَه (الجنـرال كاظم قره بكر) أن استقام على التديّن وإقامة الصّلاة ستون نائباً منهم . غير أنَّ هذا أثار حفيظة (مصطفى كمـال) ، فاستدعى (بديع الزّمان) ، ودخل معه في مناقشةٍ حادّة في ديوان الرئاسة ، وكان ممّا قالـه (كمـال) : لا ريب أنّنـا بحاجةٍ إلى عالم مثلك . لقد دعوناك الى هنا للاستفادة من آرائـك المهمّـة ، ولـكن أوّل عمـلٍ قمـتَ به لنـا ، هو الحديث عن الصلاة ، لقد كان أوّل جهودكم هنا هو بثّ الفرقة في أهل هذا المجلس .

فأجابه (بديع الزّمان) مُشيراً إليه بإصبعيه في حدّة :

« باشا ! . باشا ! . إنَّ أعظم حقيقةٍ بعد الإيمان ، إنما هي الصّلاة ، إنّ الذي لا يصلّي خائـن ، وحـكم الخائـن مردود » .

وهنا اضطرّ (مصطفى كمـال) أن يعتـذر منـه وينُهـي الحديث .

ومع ذلك فقد كان (بديع الزّمان) يأمل أن يخرج من ظلام الحكومة الكماليّة نوراً ، وأن يقلب سعيها إلى خدمة الإسلام ، ولكنّ العقبات أخذت تظهر متوالية .

وكان ينتهز الفرصة تلـو الأخـرى لنصيحـة (مصطفـى كمال) وتحذيره من الانحراف عن جادّة الإسلام ، بيد أنّه لم يكن يوافق على شيءٍ من آرائه . ولكنّه مع ذلك أراد أن يستجلب قلبه لمكانته بين النّاس . فعرض عليه أن يجعله نائبـاً عن ولاية « مـوش » ، وواعظـاً عمـومياً لبـلاد الكردستـان ، وعضـواً في مؤسّسـة الدّيانـة ، وأن يمنحـه قصراً ، غير أنّه ـ وقد علم ما يهدف إليه « كمال » من منحه كلّ هذا ـ لم يُوافِق على قبول شيءٍ منه ، ولـم يلبـث أن فارق « أنقرة » إلـى « وان » ، بعـد أن تزلّف إليه النّواب

طويلاً أن لا يفارقهم . وهناك انزوى عن الحكّام والنّاس في مكانٍ منعزلٍ عن الجميع ، وكان ذلك عام (١٩٢١) .

وكان هذا التّاريخ هو الحدّ الفاصل بين مرحلتين مختلفتين من حياة (بديع الزّمان) ، كان يُطلِق بعد ذلك على فترة ما قبل هذا التّاريخ من حياتِه ، اسم « سعيد القديم » ويُطلِق على نفسِه فيما بعد ذلك ، اسم « سعيد الجديد » .

وكان (سعيد الجديد) يختلف مع (القديم) في كثيرٍ من الأمور ، من أبرزها عدم الاشتغال بالسّياسة . فقد كان (سعيد الجديد) يتمنّى لو أنّ سميّه (القديم) حاد عن سبيل السّياسة متفرّغاً للتّوجيه والبناء الشعبي .

ولعلّ من أبرز الأدلّة على صواب رأي (سعيد الجديد) ، أنّ انزواءه عن الحكّام والسّاسة أثار من

الاضطراب في صفوفهم والفساد لخططهم ما لم يستطع أن يفعله عمله السيّاسي من قبـل ، كمـا سنلاحـظ ذلك في ترجمة حياة (سعيد الجديد ، سعيد الثاني) .

* * *

الإمام بديع الزمان سعيد النورسيّ
أَعْجُوبَةُ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي تُرْكِيَّا

- ٢ -

بدأ (بديع الزّمان) ، الفصل الثّاني من حياتِهِ ، بقوله : (أعوذُ بالله من الشّيطان والسّياسة) . ثمَّ راح يتّخذ من هذه الكلمة دستوراً لجميع صفحات هذا الفصل الجديد من عمره . فقد غادر (أنقره) إلى مكانٍ ما في بلدة « وان » ، منزوياً عن الحكّام والنّواب ، مبتعِداً عن جميع مشكلات السياسة وأصحابها .

ولكنّه راح في الوقت ذاتِه يبعثُ صيحات التّوجيه والإرشاد بين صفوفِ الشباب - وبصورة خاصّة المثقّفين منهم - مضمّنةً رسائله التي عُرِفت فيما بعد (برسائل

النّور) ، وعُرِف أنصارها (بجماعة النّور)[1] .

تعريف برسائل النور :

و (رسائل النّـور) هذه ، سلسلـة تتـألّف من (١٣٥) رسالة ، ويتناول جميعها الجواب عن مختلف المشكلات الـرّوحيّة والنفسيّة والعقليّة التـي تطـوفُ بأذهــان الجيل الحاضـر ، وهـي تنطلـقُ من محـور القـرآن وتفسيره . إذ يتناول (بديع الزّمـان) في تفسيره « إشـارات الإعجـاز » الآية بالتّفسير مرّتين : يعرض في الأولـى المعنـى الظّاهـر لها . ثمّ يحلّل في المرة الثانية على ضوئها دلائل الإيمان ، ويكشف ما فيها من أسرارٍ كونيّة ، ورموز تتعلّق بهذا العصر ودوره الحضاريّ .

(١) هذه الحال تبدأ بعد المنفى. ولكن المترجم قدّمها على المنفى ، سهواً . . المصحّح .

ولم يكن (بديع الزّمان) يكتب رسائله هذه إلاَّ نادراً ، إذ كان خطّه رديئاً . وكان يكتب بجهد . . فكان يملي أفكاره في حالاتٍ وجدانيّة متأثّرة ، على حين يُسجّل تلاميذُه من حوله ما يقول في عجلةٍ وضبط . وربما أعاد النّظر فيها ، وأجرى بقلمِهِ التّصحيح عليها إذا اقتضى الأمر ذلك .

أمّا كيفيّة انتشار هذه الرّسائل بين النّاس ، ففيها الأعجوبة الخارقة التي تكشف عن مدى ما تفعله عقيدة هذا الدّين في نفس صاحبها ، إذ يتحوَّل فيها الضّعف إلى قوّة ، والجبن إلى شجاعة ، والكسل إلى حركة من الحيويّة والنّشاط ! . .

وكان (مصطفى كمال) قد أسفر إذ ذاك عن وجهه . . فألغى جميعَ وجوه النّشاط الإسلامي ! وفي مقدّمتها الكتابة بالأحرف العربيّة ، وما قد يتضمّنها من بحوثٍ وعلومٍ إسلاميّة . فكان سبيل (جماعة النّور) إلى نشر رسائل

الأستاذ : هو أن يأخذ كلّ فردٍ منهم على نفسه ، نَسْخ ما يمكنه من النّسخ عن كلّ رسالةٍ تظهر . فإذا وزَّعها على القرّاء ، كان على كلٍّ من هؤلاء أيضاً ، أن يقوم بالوظيفة ذاتها ، وهكذا تتكاثر هذه الرّسائل في الأيدي عن طريق التّوالد المطّرد . وكما تنتشر الدّوائر المتداخلة على سطح الماء إذ يقذف فيه بحجر ، تنتشر هذه الرّسائل بسرعةٍ مُذهلة في مختلف البلدان والقرى والمجتمعات . ولقد ظلّ (جماعة النّور) قرابة عشرين عاماً ينشرون (رسائل النّور) بهذه الوسيلة . فقد كانت أيدي الشبّان والفتيات تقوم بما تعجز عنه الآلات الطباعيّة ، وكثيراً ما تعرّضت فتياتٌ للسّجن والتّنكيل ، إذ ظهر للسّلطات أنها تسهرُ اللّيالي الطّويلة وهي تنسخ هذه الرّسائل ، ثمّ توزّعها في صناديق البريد أو في صفوف المدارس .

بديع الزّمان في المنفى :

كانت رسائلُ (بديع الزّمان) وجماعتُهُ التي سرعان ما

تكاثرتْ وعمّتْ مختلف المناطق، أوّل عقبةٍ اعترضتْ طريق (مصطفى كمال) إلى المجتمع اللاديني . فأصدر أمره بسوق (بديع الزّمان) إلى قرية « بارلا » أحد منافي (إسبارطه) النّائية، فقذف به إلى هناك وحيداً مُحاطاً برقابةٍ شديدة تحجزه عن الاتصال بأيّ إنسان ! . . ولكنّه ما لبث ان أثّر على بعضٍ من حُرّاسِه ، فانقلبوا إلى أعوانٍ لمبادئه وأفكاره الإسلاميّة ، وهكذا أُتيح له أن يشتغل في منفاه ذاك بتصحيح رسائله التي كانت تأتيه من تلاميذه ، وأن يُتابع اشتغاله بالرّدّ على سبُل الإلحاد[1] .

مرّت على (بديع الزّمان) في « بارلا » ثمانية أعوام ، كان هو الذي يتولّى أثناءها طبخ طعامه ، وغسل ثيابِه ،

(١) هذا البحث سهو ، فإنّ الإمام بدأ بتأليف رسائل النور ، في قرية « بارلا » هذه ، وألّف فيها ثلاثة أرباعها ، ونشرها من هذه القرية بتوفيق الله تعالى . المصحّح . .

وإدارة جميع شؤونه .

ولكن (مصطفى كمال) لم يكتف بذلك . . فقد كانت إشعاعاتُه الدّينية تتسرّب إلى النّاس ، وكانت رسائلُه تظلّ تنتشر وتتكاثر . ولذلك فقد أصدر أوامره بنقلهِ مخفوراً مع (١٢٠) من طلاّبه إلى سجن في مدينة (اسكي شهر) ، ثمّ أُحيل الى المحاكمة بتهمة تأليف جمعيّة سرّية ، والعمل على قلب نظام الحكم ! . . وبعد تحقيقٍ طويلٍ لم يعثر فيه على شيء يدين (بديع الزّمان) ، حكمتْ عليه المحكمة بالسّجن أحد عشر شهراً ، لتفسيره آية الحجاب . .

و (لبديع الزّمان) في هذه المحكمة ، دفاعٌ رائع تمنّيتُ لو اتّسعتْ صفحاتُ هذا الكتاب لنشره بكامِله ، ولكنّي أقتطع منه هذه الفقرات :

قال : « حضرات الحكّام ! لقد جيء بي إلى هنا بتهمة

أنّني رجعيٌّ أتخذُ من الـدّين سبيلاً إلـى الإضـرار بالأمـن العام . وإنّني أقول : إنَّ إمكان عمل شيءٍ ما ، لا يستدعي وقوعه ، ولا المعاقبة عليه . فعود الكبريت يمكنـه إحـراق بيت ، ولكن هذا الإمكان لا يعني ارتكاب أيّ جريمةٍ . . إنَّ انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلاّ رضاء الله تعالى ، وحاشا أن يخدم أيّ غرضٍ غير ذلك . . .

لقد تساءلتم : هل أنا ممّن يشتغل بالطّرق الصّوفيّة ؟ وإنني أقول لكم : إنَّ عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان ، لا حفظ الطّريقة . إنَّ كثيرين هم أُولئك الـذين يدخلـون الجنّة بغير تصـوّفٍ ، ولـكنَّ أحـداً لا يدخـل الجنّـة بغير إيمانٍ .

وتقولون : من أين تأتي بالمال لجمع النّاس من حولك في جمعيّة ؟ وإنني أسأل هؤلاءِ السّائلين : ومن أين لهـم الوثائق التي أثبتوا بها أنّني اشتغلتُ بجمعيّةٍ أو قمـتُ بأيّ

نشاطٍ يحتاج الى المال ؟

وتعترضون قائلين : إنني لستُ موظّفاً فيما أعمل فيه، وللتّدريس مديريّةٌ خاصةٌ ينبغي أن أتلقّى الإذن منها أولاً . ولكني أقول لكم : لو أنّ أبواب القبور كلّها أُغلقت ، وأعدم الموت من الوجود ، لجاز أن ينحصر الإذن في دائرتكم . أما وإنّ ثلاثين ألف جنازة تُنادي كلّ يومٍ نداء الموت ، وتوقّع على حكمه ، فإنّ هذا يعني أنّ ثمة وظائف وواجبات أُخرى أهمّ كثيراً ممّا انحصر في دائرتكم وأحكامكم .

نفيه إلى « قَسْطَموني :

ولم تكد تنتهي مدةُ سجنِه ، حتى أُلقي به إلى ولاية « قَسْطَموني » وهي بلدة نائية تقع على شاطىء البحر الأسود ، حيث فُرِضتْ عليه الإقامة في منزلٍ تجاه مخفر الشّرطة ، ولكنّه حتى في هذه الحالة ظلّ يكتب البحوث

والموضوعات الإسلاميّة ويهيب بالمسلمين أن لا يتركوا دينَهم ، ويصيح بالشّبان أن لا يعصبوا أعينَهم بعصائب الجهل بالإسلام وقرآنه . . وظلّت النّشرات تنتقل سرّاً إلى أيدي تلاميذه حيث ينسخ هؤلاء منها العدد الكثير ، ثمّ ينقلونها الى غيرهم عن طريق (بريد) خصوصيّ مؤلّف من تلامذتِهِ أنفسهم . وكان قد امتدّ إشراقُ هذه الرّسائل إلى صفوف الجامعات ، ومعسكرات الجيش ، ودواوين الحكومة ، فكانت (رسائل النّور) تنبثّ في هذه الأماكن كلّها ، بشتّى ا لوسائل المختلفة .

وشعر (مصطفى كمال) بالزّلزال يسري في كيان حكومتِهِ ، وأذهله ما تفعله هذه الرّسائل - وهي رسائل لا تتعرّض للسّياسة بكثيرٍ ولا قليل - من تهديدٍ لحكمِهِ أو إضعافٍ لسلطانِهِ . لقد تجلى أنّ نور القرآن وحقائق الإسلام كافيان إذا تمكّنا من القلب ، لتدمير كلّ ما تخطّطه يد السّياسة والمؤامرات والكيد . فعقد (مطفى كمال)

اجتماعاً سرّيّاً دعا إليه كبار رجال الماسونية الذين ساهموا مساهمةً فعّالةً في تقويض بناءِ الخلافة الإسلاميّة ، وبناء الحكومة العلمانيّة على أنقاضِه ، انتهى باتّفاقِهم على إحالة (بديع الزّمان) مرّةً أخرى للمحاكمة بتهمة تأليف جمعيّةٍ سرّيّة ، والعمل على الإساءة لحكومة الثّورة ، واتهام (مصطفى كمال) بالدّجالية ! فألقى القبض عليه وعلى تسعين من تلاميذه . ووضعوا هذه المرّة ، في سجن مدينة (دَنِزْلي) وسُمِّم هو وواحد من خواص تلاميذه ، فتوفّي تلميذه ، وعوفي هو برحمة الله تعالى . . .

وسرعان ما تألّفت لجنةٌ من هؤلاءِ الماسونيّين أنفسهم للتّحقيق في رسائله التي كانت قد وقعت تحت أيديهم . ولكنّ (بديع الزّمان) أعلن رفضَه لهذه اللجنة قائلاً : (إنّ من لم يكن أهلاً للحقيقة لا يستطيع أن يحقّق في هذا الأمر . .) وطلب استدعاء مَن يشاءُون من فلاسفة ومفكّري أوربا الحياديّين ، ليتولّوا هم هذا التّحقيق . ولقد

أُجيب إلى ذلك أخيراً ، فعقدت لجنة أُخرى ، انتهتْ من دراستِها لرسائله ، إلى أنها بحوثٌ دينيّة مجرَّدة لا علاقة لها بالحزبيّة أو السّياسة ، ولكنّهم عادوا فاتهموه بالنزوع إلى الزّعامة الدّينيّة لمأربٍ سياسيّ خاصّ ، بيد أنهم أخفقوا في إدانتِه بهذه التّهمة أيضاً . فقد كانت حياة هذا الإنسان أبعد ما تكون عن مظاهر الترف أو طريق الزّعامة والمجد .

وهكذا انتهت المحكمة التي وقف أمامها (بديع الزّمان) ـ بعد توقيفٍ طويلٍ ومماطلةٍ كثيرة ـ إلى تبرئة ساحته ، وذلك بتاريخ (١٦/ ٦/ ١٩٤٤) . ولقد كان كلّ حصاد الحكومة من وراء محاكمتِه ، الأثر الكبير الذي خلّفه بيانُه الذي ألقاه في قاعة المحكمة ، فقد سرى منه إلى أفئدة النّاس تيّارٌ ألهبها إيماناً وحماساً واستهانةً بكلّ نكبةٍ تأتي في طريق الإسلام ودعوته . ولم يعد السّجن بكلّ توابعه في نظر جماعة النّور التي زادت في ذلك التّاريخ على مليون نسمة ما بين رجلٍ وامرأة إلاّ بمثابة ألم وتعذيب واضطهاد ،

بل (مدرسة يوسفيّة) على حدّ تعبيرهم ، يتشرّف كلّ مسلمٍ بدخولها ثمّ التخرّج منها .

وإليك يا أخي القارىء جزءاً من هذا البيان الرّائع العظيم :

(نعم . . نحن عبارة عن جمعيّة ، وإنها لجمعيّة تحوي في كلّ عصرٍ على ثلاثمأة مليون من الأعضاء المنتسبين إليها ! . . وهم في كلّ يومٍ يعبّرون خمس مرّاتٍ عن أتمّ علاقتِهم بالدّستور العظيم لهذه الجمعيّة . وهم يتسابقون دائماً إلى تحقيق أهمّ شعائرها ، ألا وهو (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) فنحن من أفراد هذه الجمعيّة المقدّسة العظيمة . وظيفتُنا هي : تعريف هؤلاء الإخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفاً عمليّاً راسخاً ، وذلك تعاوناً منّا على إعتاق أنفسِنا من سجن الأبديّة الذي يتهدّدنا .

بأيٍّ وجهٍ تستطيعون إيقاف حركة (رسالة النّور) وإنما

هي عبارة عن خدمةٍ لحقائق القرآن ، والقرآن حقيقةٌ مرتبطة بعرش الله العظيم ، ومن ذا الذي يستطيع أن يتنطّح للوقوف في وجه حقيقةٍ ترتبط بعرش الله تعالى ؟! . .

إنّني لا أتوجّه في بياني هذا إلى أعضاء هذه المحكمة فقط ، بل إلى تلك الجماعة المتآمرة في (إسبارطة) أيضاً . . إنّني لأعجب كيف يُتّهم أُناسٌ يتبادلون فيما بينهم تحيّة القرآن وبيانه ومعجزاته ، باتّباعهم للسّياسة والجمعيّات السّريّة ؟. . على حين يحقّ لمارقٍ مثل (الدكتور دوزي) أن يفتري على القرآن وحقائقه في وقاحةٍ وإصرار ، ثمّ يُعتبر ذلك أمراً مسموحاً به لأنّه حرّية في الرأي والفكر . هذه حرّيّةٌ في الرأي والفكر ، أمّا نور القرآن الذي يأبى إلاّ أن يشعّ في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره ، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشّرّ والخبث والسّياسة ! !

إنّكم تتهمونني بمعادات الجمهوريّة ، ولكنّي أقول لكم إنني منذ كنتُ طالب علمٍ يُؤتى لي بطعامي من الخبز والحساءِ ، كنتُ آكلُ نصيبي منه ، ثمّ أنثر ما بقي بين جماعاتٍ من النّمل كانت بالقرب مني ، تقديراً لجماعتِها ، وتقديساً لنظامِها وأخوتها . إنّكم تستطيعون أن تعلموا من هذا مدى تقديري لحقيقة الجمهوريّة الصّالحة ، على أنّ أكبرَ دليلٍ على تقديري للجمهوريّة : هو احترامي للخلفاء الراشدين ، فقد كانوا إلى جانب كونهم خلفاء ، رؤساء جمهوريّةٍ أيضاً ، ولقد كانت حياتهم حياةَ جمهوريّةٍ لا في الادّعاءِ اللفظي فقط ، بل في الحقيقة والواقع .

أمّا عن الجمهوريّة العلمانيّة ، فنحن نعلم أنها تلك التي لا تتعرَّض للدّين في خيرٍ أو شرّ . ولكن ها أنتم أُولاءِ تفسحون الطّريق أمام كلّ جريمةٍ وفاحشةٍ خلقيّةٍ باسم الحرّيّة الوجدانيّة والفكريّة ، حتى إذا تنبّهتم لآيةٍ من القرآن

تُفسَّر وتُجلَّى حقائقُها ، رفعتم أصواتكم بالنّكير ، وقلتم : جمعيّة سرّيّة . . وسياسيّة . . وخطورة !! . .

إنَّ المسألة إذاً من الخطورة والإجرام بحيث تحاولون أن تستروها برداء العلمانيَّة التي تعتبر غاية العدالة بالنسبة لما تحتها . فإن كان الأمر كذلك ، فاعلموا أنّه لو كانت لي ألف روحٍ ، فأنا على استعدادٍ أن أفدي كلّ ذلك ، في سبيل أهمّ حقائق الكون ألا وهو دين الله تعالى ، وسأحتمي منكم بحصنٍ واحدٍ فقط ، هو : حسبُنا الله ونعمَ الوكيل .

إنّكم تدورون ، ثمَّ تقولون : إنَّ أعمالي الدينيّة ، ما هي إلاَّ استغلالٌ ووسيلة للإخلال بالأمن . ولكنّي أقول لكم بالمقابل : إنَّ دعواكم هذه ليست إلاَّ استغلالاً ووسيلةً لإعدام الدّين باسم المحافظة على الأمن ! . . إنّكم تعلمون أنَّ (رسالة النّور) تضيءُ منذ عشرين عاماً ، فهل سجّلتم منذ ذلك اليوم إلى الآن حادثةً واحدةً أخلّت

بالأمن ؟ إذاً فإنّ تلك المادة ذات الرّقم (١٦٣) ما هي إلاّ عبارة عن كرةٍ تقذفون بها إلى حيثُ أردتم ، وما إرادتكم إلا معاداة الدّين . إذاً فاسمعوا يا من بعتم دينَكم بدنياكم ، وتنكّستم في الكفر المطلق ، إنّني أقولُ بمنتهى ما أعطاني الله من قوّة : افعلوا كلّ ما يمكنكم فعلُه ، فغاية ما نتمنّاه أن نجعل رؤوسنا فداءً لأصغر حقيقةٍ من حقائق الإسلام .

نحنُ في كلّ لحظةٍ ننتظر أحكام إعدامكم . إنّ السّجن الخارجيّ على هذه الحال ، أسوأ مائة مرّة من ذلك السّجن الدّاخليّ .

وتقولون : لماذا لا تلبس قبّعتَنا منذ عشرين عاماً مرّةً واحدة . . ولم تكشفْ عن رأسِك تحيّةً لمحكمتِنَا مرّةً واحدة ، مع أنّ سبعة عشر مليوناً انسجموا مع هذا اللّباس ؟ . .

وإنّني أقول : ليسوا سبعة عشر مليوناً . . ولا سبعة

ملايين ، بل ولا يوجد أقلّ من القليل لبسوها بمحض اختيارهم ، اللّهمّ إلاّ حفنةٌ من الحمقى الذين يلهثون وراء رذيلة أوربا وانحطاطها .

إنَّ مثلي ممّن ترك الحياة الاجتماعيّة منذ خمسٍ وعشرين سنة ، لا يُقال عنه في هذا: مخالفٌ أو مُعاند . وافرضوا أنّه عناد ، فما دام أنَّ (مصطفى كمال) بنفسِه لم يقدرْ أن يكسر عنادي ، وأنَّ محكمتين وحكومة ثلاث ولاياتٍ ، لم تستطع التأثير عليّ ، فما أنتم وخطبكم حتى تُضيعوا الوقتَ في هذا العبث ؟[1] .

قرّرت المحكمة براءة (بديع الزّمان) ، ولكنّه ظلَّ مُعتقلاً في سجنِه . وبعد فترةٍ صدرت الأوامر بنفيهِ الى ولاية « آفيون » في قضاء « أمر داغي » . حيثُ وُضع مرَّةً

(١) من نص بيان (بديع الزمان) بعد أن ترجمته من التركية إلى العربية . المؤلّف .

أخرى تحت الترصّد والرّقابة الشديدة ، لدرجة أنّه لم يكن بوسعِه الاتّصال بمخلوقٍ ، ولا كتابة أيّ كلمة .

ولكنَّ أعاجيب قضاء الله تعالى تأبى إلاَّ أن تسخر من تدبير الطّغيان البشريّ ، لقد استطاعتْ فئاتٌ من طلاّبِه ، رغم هذا ، أن تتّصل به . وكان أوّلُ هذه الفئات بعضاً من أعضاء وهيئة المحكمة التي حوكم أمامَها. فقد كان لبيانِه الذي ألقاه أمامهم ورسائله التي اطّلعوا عليها ، ما جعلهم يُصبحون في فترةٍ وجيزةٍ من أبرز تلامذتِه وأشدّهم حماساً لدعوة الإسلام ! . .

ظلَّ (بديع الزّمان) مبعداً في منفاه هذا، حتى أوائل عام (١٩٥٠) ، تترصّده الشرطة لا يستطيع أحدٌ ، الاتّصال به إلاَّ خلسةً . ولكنَّ الحكومة بعد ذلك أذنتْ لطلاّبِه بالاتّصال به ، كما سمحتْ بطبع رسائلِه على الآلات الكاتبة ومختلف وسائل الطّباعة ، وذلك بمناسبة

التّسهيلات التي أدخلتْها الحكومة إذ ذاك على قانون (أتاتورك) فيما يخصّ الثّقافة والنّشاط الدّيني . وكان هذا بضغطٍ من (جماعة النّور) التي اكتسحتْ إذ ذاك كلّ شيء حتى كثيراً من مرافق الدّولة نفسها ! . .

أمّا الذي دفع هذه الجماعة إلى الضّغط على الحكومة في انتفاضة لاهبة ، فرسالة من رسائل (بديع الزّمان) ، وجّهها من منفاه ، إلى الحكومة عن طريق جماعته ، يستنكر فيها حجز حريته البشريّة بدون سبب ، رغم البراءة التي صدرتْ بحقّه من ثلاث محاكم . وهو يقول في هذه الرّسالة :

« هذه أفكار أبعثها عن طريقكم إلى أسماع (أنقرة) ومَن فيها : إذا كان الحاكم والمدعي واحداً ، فلمن تُرفع الشّكوى ؟ لقد حرتُ طويلاً في هذه المشكلة ! . . أجل إنّ حالتي اليوم وأنا طليق مراقب أشدّ عليّ بكثيرٍ من الأيّام

التي كنتَ مسجوناً فيها . إنَّ يوماً واحداً من هذه الحياة يضايقني أكثر من شهرٍ كاملٍ في سجني المنفرد ذاك . لقد مُنِعتُ رغم ضعفي وتقدّمي في السّنّ ، في هذا الشتاء القارص ، من كلّ شيء . هذا على أنّني منذ عشرين سنة ، أُعاني مأساة حبسٍ منفردة ، وإنَّ استمرار هذا العذاب أكثر من هذا القدر ليهدّد بعذابٍ إلَهيٍّ عام .

إنني أقول: إنَّ أهمّ وظيفةٍ إنسانيّةٍ لهذه الحكومة ، هي حفظ حقوقي التي لا يستطيع أحدٌ إنكارها ، ذلك لأنها اضطّرت بعد مراقبةدامت تسعة أشهرٍ لما كتبتُه في ظرف عشرين سنة ، أن تعترف ببراءته . ولكن هناك أيدٍ خفيّة ـ لكي تخدم النّفوذ الأجنبيّ والضّرر الوطني والدّيني ـ لا تُبالي أن تتّخذ من الحبّة قبّة في سبيل تجريمي وإسكاتي ! .

وهناك غايةٌ واحدة لهم: هي أن ينفد ما لديّ من صبر ،

ثمّ أقول : حسبي هذا القدر .

نعم : إنّ تجريدي من حقوقي الإنسانيّة كلّها ـ بعد هذا كلّه ـ إنما هو حطّة تتّسم بأشدّ أنواع الظّلم . .

لقد سمعتُ أنّ المسؤولين عهدوا إلى حكومة هذه المنطقة مسؤوليّة إعاشتي الدّنيويّة ، إنني أشكر هؤلاءِ النّاس ، ولكنني أُعلن لهم أنّ حرّيتي في أداء واجبي ، هي أهمّ من كلّ شيء ! فهي أوّل ركنٍ من دستور حياتي .

إنّ إقصائي عن حريتي بحبائل الأوهام الكاذبة ، يجعلني أملُّ حياتي مللاً شديداً مهما اكتنفها من مغريات العيش . لا أقول الحبس أو السّجن، بل إنني لأفضّل ذلك القبر المظلم على هذه الحالة .

غير أنّ هذا كلّه حينما يكون في سبيل دعوتي التي هيأتني الأقدار لها، يعطيني مزيداً من الصّبر والثّبات على هذه الحالة .

إنّ على هؤلاء الذين يقولون : إنهم لا يُريدون الظّلم بحقّي ، ويحكمون ببراءتي أن يردّوا عليّ قبل كل شيء حرّيتي، وأن لا يدنوا إليها بسوء . إنني أعيش بدون طعام، ولكني لا أعيش بدون حرّية .

نعم إنّ ذاك الذي عاش طوال تسع سنوات على مبلغ لم يزد على (٢٠٠) ليرة تركيّة دون أن يعرّض نفسه معها إلى ذلّ الصّدقة والمسألة والتعرّض للزكوات والهدايا ، لا ريب أنّه اليوم أحوج إلى الحرّيّة منه إلى العيش .

ولكني أقول : إنّ ممّا يُعيضني عن عشرة من النّاس يحال بيني وبينهم أنّ مليوناً من المسلمين يعكفون على دراسة (رسالة النّور) التي انتشرت فيما بينهم ، إنهم إن استطاعوا أن يُسكتوني أمام النّاس ، فلن يستطيعوا إسكات (رسائل النّور) التي تصل الى شغاف القلوب . إنّ كلّ

نسخةٍ منها تقوم مقامي في الكلام والبيان ، ولن تسكتها أيّ قوّةٍ على الأرض » .

المحاكمة الرّابعة لبديع الزمان :

لم تكد الحكومة التركيّة تأذن لجماعة النّور بالاتّصال برائدهم ، وبطبع رسائله وكتبه ، حتى راحتْ حركة (النور) تكتسح جهات البلاد التركيّة والمناطق الكردية ، وانطلق إشعاعُها إلى ما وراء ذلك كالباكستان والهند . . وأصبحتْ رسائل (بديع الزمان) تنتشر في كلّ بلدةٍ وسوقٍ ومسجدٍ ومدرسةٍ وجامعة .

فعاد الجزع يستبدّ من جديدٍ بأفئدة السّلطات ، فقد رأوا أنّ التّيار سيكتسحهم لا محالة ، وشعروا أنّ دائرة الإلحاد واللادينيّة تنتقص من أطرافها بسرعةٍ مُذهلة ، وأنّ الواجهة الثقافيّة والفكريّة للشّعب التركي من علماء وأدباء ومفكّرين

وأساتذة جامعة ينضوون تباعاً تحت لواء هذه الدّعوة بحماسٍ منقطع النّظير .

فما كان منهم إلاَّ أن انقضُّوا مرّةً أُخرى على (بديع الزّمان) ، حيث ألقوا القبض عليه مع ثلّةٍ كبيرةٍ من أبرز أتباعِه ، ثمَّ ما لبثوا أن أحالوهم إلى محكمةٍ جزائيّةٍ كبرى في ولاية « آفيون » بالتّهم السّابقة ذاتها ، وذلك عام (١٩٤٧) .

وضيّق الخناق على « سعيد النّورسيّ » هذه المرَّة في سجنِه أكثر من أيّ وقتٍ مضى ، فقد زُجَّ به في زنزانةٍ لا تتّسع لأكثر من فراشٍ صغيرٍ قذر ، يعوم وسط رطوبةٍ عفنةٍ باردةٍ . أمّا طعامُه فلم يكن أكثر من قدح ماءٍ وكسرٍ من الخبز اليابس تقدَّم له مرّتين في كلّ يوم . ومع ذلك فقد دسّت له السّلطات في إحدى هذه الواجبات سمّاً ناقعاً ، للتخلّص منه بدون أن تعرّضهم محاكمته لنقمة الملايين من

المسلمين ، ولـكن أعـاجيب لطف الله خيّب آمالهـم في ذلك . .

وكانت محاكمته هذه المرَّة أهمّ أحـداث عام (١٩٤٨) في تركيا . فقد علّقـت الصّحف والمجـلاّت أنفاسَهـا ، لتستمع إلى بيان (بديع الزّمان) وإلـى ما تنتهـي إليه هذه المحاكمة . ولقد سجّلت فيما بعد ، وقائع هذه المحكمة مع بيان (بـديع الزّمـان) ، وبيانـات بقيّة طلاّبـه الـذين حوكموا معه في كتابٍ ضخمٍ ، بعنوان : دفـاع محكمـة آفيون الجزائيّة .

وكان الحكم الذي أصدرته هذه المحكمة بحقّ (بديع الزّمان) هو السّجن مدّة اثنين وعشرين شهراً. غير أنّ ثلّةً كبيرةً من المحـامين والقضـائيّين أعلنـوا عدم شرعيّة هذه المحاكمة بسبب أنها انبنت على نفس التّهـم التـي حوكم (بديع الزّمان) قبـل ذلك بسببهـا . ومـا دامـت الأحـكام

السّابقة قد أعلنت عن براءتِه من هذه التّهـم ، فلا يجـوز تجريمه بعد ذلك بها . وهكذا أُحيلت القضيّة إلى محكمة التّمييز ، ولكنّ السلطات ظلّت تماطل في النّظر في الحكم إلى أن انقضت المدّة التي حُكم عليه بها ، وقد كان هذا هو كلّ قصد الحكومة : أن يُحجز (بديع الزّمان) عن النّاس ويجمّد نشاطه ونشاط أتباعه .

وفاتـه :

عاش بعد ذلك (بديع الزّمان) بقيّة عمره منعـزلاً عن النّاس، في مدينة « إسبارطة » إلى أن كان قبل وفاتِه بثلاثة أيّامٍ ، حيثُ اتجه مع بعضٍ من تلامذتِه في سيّارةٍ صغيرة إلى مدينة « أورفه » ، دون أن يستأذن من السّلطات ، فقد كان محجوراً عليه التّنقّل من بلدةٍ إلى أُخرى . وقبـل أن تدخـل بهـم السّيارة مدينـة « أورفـه » عارضتهـم قوّةٌ من الشرطة وأمرتهم بالعودة إلى المـكان الـذي قدمـوا منـه .

ولكنَّ (بديع الزّمان) قال لهم في هدوءٍ دون أن يتحرَّك من داخل السيّارة : يبدو أنني لن أستطيع الاجابة الى طلبكم ، ولكنّي أؤكّد لكم أنّي لن أبقى في « أُورفه » أكثر من يومين ، فتخلَّت جماعة الشرطة عن طريقه ، ودخل « أُورفه » .

وبعد يومين فقط من دخولِه إليها ، أعلن العالم الإسلامي وفاة (بديع الزّمان) ، بتاريخ/ ٢٧/ رمضان عام (١٣٧٩ هـ) رحمه الله رحمة واسعة . .

أبرز خصائص بديع الزمان :

كان (سعيد النّورسيّ) ، لا يكتب إلاَّ بصعوبةٍ وجهد ، ولذا فقد كان في أكثر أحيانِه يسجّل كتبه ورسائله بواسطة الإملاء .

لم يتزوَّج (بديع الزّمان) ، وعاش كلّ حياتِه عزباً ،

وحينما سُئل عن سبب اختياره لحياة العزوبة ، أجـاب : إنني لا أستطيع أن أقوم بواجبات الزّوجة على ما أنا فيه من حياة القلق والاضطراب . ولقد صدق (بديع الزمـان) ، فلقد عاش حياةً كلّها عزلة وانفراد ، ونفي وسجن .

عاش (بديع الزّمان) عمره كلّه مبتعداً عن الصَّدقـات والزكوات والهدايا من أيّ مصدرٍ كانت . ولقد جاءه مرَّةً وكيل وزارة المعارف الباكستانيّة بهديّةٍ من المال الوفير . فاعتذر عن قبولهـا قائـلاً : إنَّـك تحملنـي بذلك علـى الإخـلال بقاعدتي التي التزمتها في حياتي . إنَّ من أهمّ التّهم التي توجّه في هذا العصر إلى أهل العلم ودعاة الإسلام، جمع المال من النّاس . وإنني مدعو ـ بما أقامتني الأقدار فيه من هذه الوظيفة ـ إلى معارضة هذه التّهم بالتـزام ترك أيّ مالٍ يأتيني من أيّ إنسان .

وحينمـا دعـاه وكيل وزارة معـارف «(باكستان)» الـــى

الهجرة إلى « باكستان » ، حيثُ سيجد هناك تقديراً أكبر لعملِه ودعوته ، ويعيش في نجوةٍ من هذا العذاب الذي يعانيه ، أجابه :

إنّ الدّاء الذي دبّ إلى جسم العالم الإسلامي ، إنما نبع من هذا المكان بالذّات ، ولا جدوى من أيّ محاولةٍ تكون بعيدةً عن مكمن الدّاء . إنّ الفساد الذي ينتشر اليوم في العالم الإسلامي ، إنما انطلق من هنا ، حيث الخطط الصّهيونيّة ، والمؤامرات الماسونيّة . وإنّ من الخيانة أن أهرب من وجه هذا كلّه ، إلى مكانٍ آخر .

كان يلحّ على جماعة النّور ، أن لا يربطوا حركة النّور ورسائله باسمه ، قائلاً : إنّ هذا ظلمٌ كبيرٌ للحقيقة ، إنّ الحقيقة الخالدة لا يمكن لها أن تتأسّس على كاهل شخصٍ . يجب أن تعلموا أنّني مجرّد دلاّل أُنادي على بضاعة القرآن ومعجزاته الموجودة بين يدي الإنسان في

كلّ عصر . إنّ من أكبر الخطأ اتخاذي مظهراً ، أو قائداً لعمل هذه الرسالة ، إذ إنّ شخصي معرّضٌ دائماً للتّهم والنّقد والهجوم والإيذاء ، وفي ذلك ما يُضعِف من قيمة (رسالة النّور) نفسها عندما تُقرن بي ، على أنّني الموجد لها ، والمدبع لحقيقتِها . لا تربطوا (رسالة النّور) بشخصي الفاني لئلاّ تضرّوها بذلك ، ولكن اربطوها بمنبِعها الأصيل الذي هو القرآن الحكيم . فهو بعيدٌ عن أيّ متناول .

رسالة النور وعلماء الشّام :

كان من وصايا (بديع الزّمان) التي خلّفها بين رسائلِه قوله : ابعثوا بتحيّاتي وسلامي إلى أُولئك الفطاحل من علماء الشّام . . وتلطّفوا بالرّجاءِ إليهم أن يعتبروا عمل (رسالة النّور) هنا ، فرعاً متواضعاً لمدرستِهم ودعوتهم الإسلاميّة هناك ! وليحوطوها بما يتكرّمون به من عنايتِهم

ومساعدتهم وتأييدهم ، لا من أجل هذه المنطقة وحدها ، بل من أجل إنقاذ الإسلام في كلّ بقاع الإسلام[1] .

خاتمة وتعليق :

والآن ، وقد انتهيتُ إلى آخر سطرٍ ممّا أردت من ترجمة هذا الرّجل العظيم ، أشعر أنّه قد آن أن ألتفت إلى السّادة علماء الشّام الذين أرسل إليهم (بديع الزّمان) تحيّته ورجاءه في آخر يومٍ من حياته ، لأقول لهم بلسان كلّ مسلمٍ في هذا البلد :

ألم يأن يا حضرات السّادة : أن تطووا من بينكم بساط هذا الصّراع والخلاف ، لتفرغوا للسّير في سبيلٍ يشبه تلك التي سار فيها من قبلكم (بديع الزّمان) وتلامذته الأبرار ؟ !

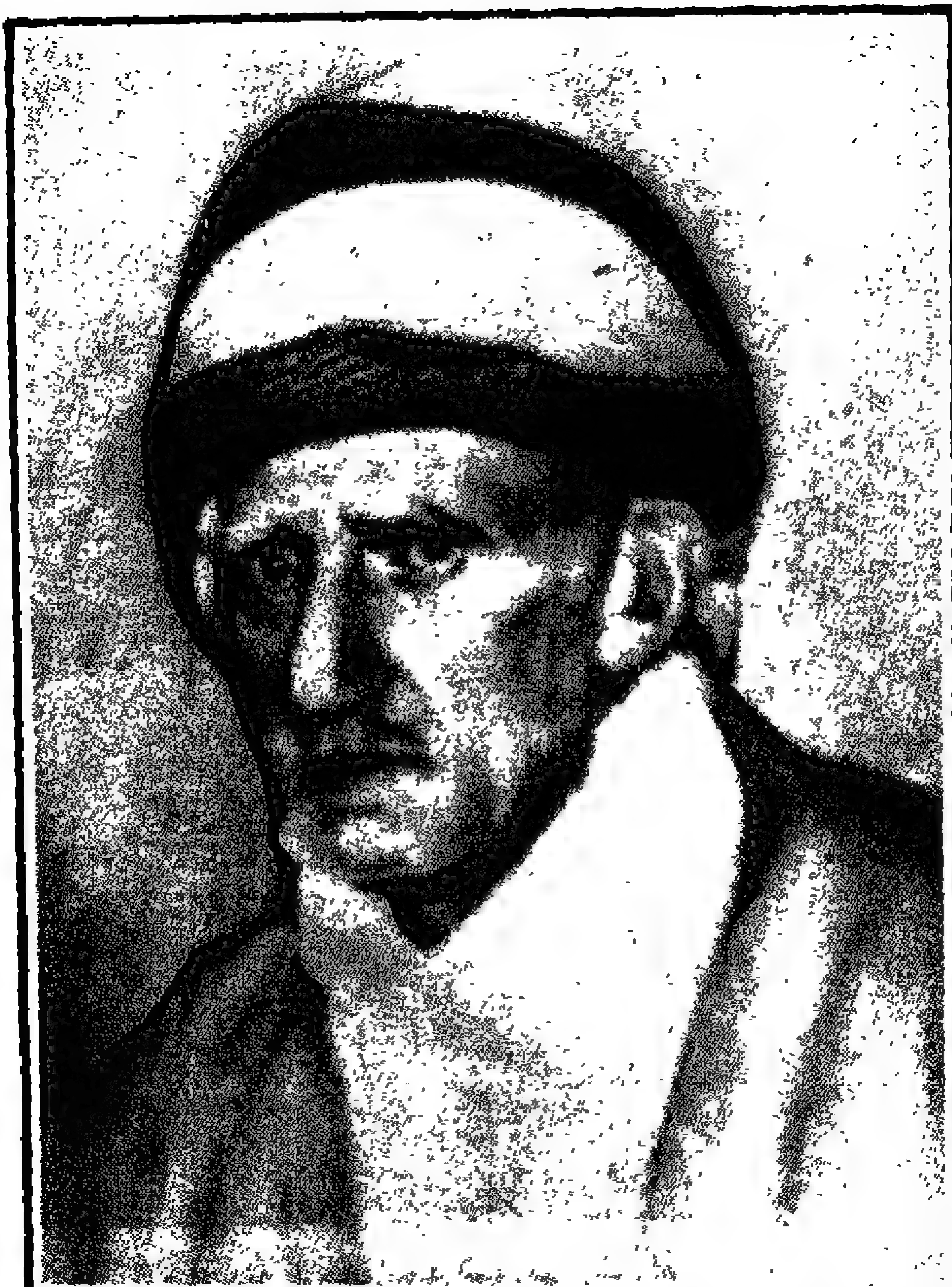
(١) كان (بديع الزمان) قد جاء إلى دمشق في عصر الاتحاديين ، وألقى خطاباً رائعاً في المسجد الأموي عرف فيما بعد بالخطبة الشامية . المؤلّف .

لقد شخصت عيون الناس ، وهي تتطلّع إلى يوم انطلاقتكم ، ولقد يبست منهم الأعناق ، وهي تشرئبُّ منتظرةً ساعة جهادكم، ولقد ذبلت الآمال ، وهي تصبر على مرارة الأيّام القاتمة .

فمتى يا حضرات العلماء ، متى تحين ساعة الصّفر ، ساعة الاستجابة لرجاء (بديع الزّمان) ؟ . .

أستغفر الله ، بل الاستجابة لأمر الله تعالى وواجباته ؟؟!

الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطيّ . .



الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في أخريات عمره ، بعد أن وفّقه
الله تعالى لنشر الأنوار القرآنية بين الملايين من تلاميذ القرآن . . .



الإمـام بديع الزمـان سعيد النـورسي رضي الله عنـه ، إذ قدم إلى إستانبول عام (١٩٥٩) م. والتقطت صورته هذه في داخل السيارة، وهو في أواخر أيامه . . .

نموذج من حياة الإمام
بديع الزمـان سعيد النّورسـيّ
رضـي الله عنه،

بقلم الدكتور محسن عبد الحميد
حفظـه الله تعالى ،

نشر في مجلّة الأمّة ، العدد الثامن عشر
والتاسع عشر . .
١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

الإمام بديع الزمان سعيد النّورسيّ رضي الله عنه ،

رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيـا

عصـر النُورْسيّ :

عصـــر النورســي كان يتّســم بالقلــق الحضـــاري ، والاضطراب السياسي ، والتفكك العام الذي بدأ ينخر في جسم الدولة العثمـانية ، بفعـل عوامـل داخلية وخـارجية متنوعة .

وكانت هذه الدولة يومئذ آخذة بالسقوط ، وعدم السيطرة

على ممالكها الواسعة التي كانت أوربا قد تهيّأت لابتلاعها، بعد رسم عشرات المشاريع التي اشتركت في تخطيطها كافة الدول الأوربية الاستعمارية .

ولقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني ، وسعه في سبيل المحافظة على الوضع الراهن ، والتفكير الجدي في إيقاظ الأمة ، وإنقاذ الدولة ، والوقوف أمام الأطماع الاستعمارية ، طيلة سنوات حكمه الطويل ، متوسّلاً في ذلك بدهائه السياسي ، ومحاولاً تقوية الرابطة الإسلامية بين المسلمين . ولكن الظروف السياسية والحضارية في عهده كانت أقوى من محاولاته ، بل وجد أعداءُ الدولة والأمة في بقائه ، خطراً أكيداً على مصالحهم ، فخططوا لإسقاطه حيث أمر الشرق الأعظم الماسوني الإيطالي أعوانه في جمعية الاتحاد والترقّي ، بعزله بعد رفضه تسليم جزء من فلسطين إلى اليهودية العالمية . وقد تم ذلك في

عام (١٩٠٩) م ، حيث أجبر على التنازل ، فأتوا من بعده بأخيه محمد رشاد (محمد الخامس) الذي كان ضعيفاً، وغدا ألعوبة بيد الاتحاديين . .

ولقد تظاهرت جمعية الاتحاد والترقي في بداية الأمر بشعارات برّاقة وهي : الحرية والإخاء والمساواة ، إلاّ أن حقيقتها سرعان ما ظهرت عندما اتبعت سياسة عنصرية إرهابية ، ففتكت بمعارضيها واضطهدت العناصر غير التركية في داخل الدولة العثمانية ، مما دفع الأقوام التي كانت تربطها الرابطة الاسلامية بالأتراك عبر العصور ، بالتفكير في إنقاذ نفسها من ذلك الوضع الشاذ غير الإسلامي .

ولم يكتف الاتحاديون بذلك ، بل ورّطوا الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا ، الأمر الذي أدّى إلى هزيمتها وتمزقها وتوزيع أملاكها بين الدول الاستعمارية المنتصرة في تلك الحرب .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٦ هـ/ ١٩١٨ م) توفي السلطان (محمد رشاد) . وجاء بعده (محمد وحيد الدين) الملقب بـ « محمد السادس » الذي كان يكره الاتحاديين ، ويتربص بهم الدوائر . ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل أيّ شيء ضدهم. وعندما احتلّ الحلفاء « إسطنبول » وقع السلطان (محمد السادس) أسيراً بيدهم، فضيق عليه ، وحجب بينه وبين الشعب ، فلم يجد السلطان مناصاً من أن يكلِّف سراً أحد الضباط الذي كانت تربطه به صداقة سابقة قبيل مجيئه الى عرش الخلافة ، وهو (مصطفى كمال) فأرسله إلى الأناضول وزوّده بأمر سلطاني الى قادة الجيش جميعهم كي يتعاونوا معه لتهيئة الصفوف لجهاد المستعمرين وطردهم من تركيا[1] .

(١) جريدة « بوكون »(Bugun) التركية أعداد تموز عام (١٩٦٨ م) حيث كتب الكاتب التركي الكبير(نجيب فاضل)سلسلة مقالات حول السلطان وحيد=

وقد تم ذلك في حروب اشترك فيها أبناء الشعب التركي المسلم بحماسة إسلامية منقطعة النظير منطلقين من عقيدة الجهاد في سبيل الله سمّيت بـ (حرب الاستقلال) فاستطاعوا فيها طرد المحتلين اليونانيين من الغرب، والروس من الشرق.

ولما استقر الوضع (لمصطفى كمال) قام بموجب معاهدة «لوزان» بإلغاء الخلافة الإسلامية، وصادر أملاك الأوقاف، ومنع قراءة القرآن، وكُتُب العلوم الإسلامية باللغة العربية، التي كان يكرهها جداً، حيث غيّر حروف الكتابة العربية بالكتابة اللاتينية، وحوّل الأذان الشرعيّ

= الدين (محمد السادس) وأثبت فيه بوثائق تاريخية هذه القضية، ثم جمعت هذه المقالات ونشرت في كتاب خاص. انظر ايضاً كتاب (الرجل الصنم) (ص ١٢٧، ١٧٣) وهو كتاب تاريخي حديث ومهم جداً حول حياة (مصطفى كمال) وانقلاباته بقلم ضابط تركي متقاعد، طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م). المؤلف.

إلى الأذان باللغة التركية ، وحوَّل المساجد الكثيرة الى مخازن وإصطبلات ، ومنع النشاط الإسلامي كله ، وأعلن اللادينية ، وخطط للقضاء على الإسلام نهائياً في تركيا ، وفي سبيل ذلك فتك بمعارضيه ، وقبض على الحكم بيد من حديد .

وقد وصل الأمر في محاربة الإيمان والإسلام إلى حد أن دائرة معارف الحياة التركية الرسمية أنكرت صراحة وجود الله سبحانه وتعالى . ولعل هذا الاقتباس منها يلقي ضوءاً ساطعاً على الأفكار التي لم تظهر بهذه الصراحة في أي مكان آخر في العالم الإسلامي يومئذ .

(إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبثها هي ان الله واحد ، وأنه هو الذي خلق الكون . ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئاً فشيئاً بأن هذه الفكرة باطلة ، وأنه لا وجود لشيء اسمه (الله) وقد انتشرت فكرة عدم

الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين[1] ..

هذا إضافة إلى تدريس المواد غير الدينية في المدارس والهجوم على القرآن وعلى الرسول عليه الصلاة والسلام علناً في المدارس حتى قرر تدريس الفلسفة المادية في الصفوف الأولى في المتوسطات لترسيخ الجحود بالألوهية وإنكار الآخرة .

حياتـه :

ولد سعيد النورسي سنة (١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٣ م) في

---

(١) (١/ ١٣٢) وادعاء ان التقدم العلمي يرفض عقيدة الإلـه افتراء محض على العلم ، والعكس هو الصحيح ، فالتقدم العلمي في القرن العشرين وضع يده على نظام الكون الدقيق جداً ، بحيث ذهب معظم العلماء الأفذاذ إلى أن إسناد خلق الكون الى الصدفة العمياء، مستحيل علمياً في حد ذاته ، بل إن قوانين الفيزياء الحديثة تثبت حدوث العالم .

راجع : « العلم يدعو إلى الايمان » لكريسي موريسون ، و « الله يتجلىّ في عصر العلم » لمجموعة من كبار علماء العالم. المؤلف . .

أسـرة كردية كانـت تعيش في قرية « نــورس » في ولاية بتليس من بلاد الكردستان . .[1] .

كانت أسرته تشتغل بالفلاحة . فتوجه هو إلـى التعليم في الكتاتيب والمدارس الدينية . وكان يأخذ دروسه على يد أخيه « الملا عبـد الله » . واقتصـرت دراستـه في هذه الفتـرة علـى الصـرف والنحـو . ثـم بدأ ينتقـل في القـرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ، ويتلقّى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم ، يساعـده في ذلك ذكاؤه الخارق الذي اعترف به أساتذته جميعهم بعـد امتحانـات صعبـة كان يجريها له كل منهم ، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة ، بحيث انه حفظ كتاب « جمع الجوامع » في أصول الفقه ـ وهو كتاب صعب ـ في اسبوع واحد .

---

(١) الكردستان : لفظة جغرافية تطلق على البلاد التي يقطنها الأكراد ، وعلى بعض مناطقها أيضاً . . المصحّح . .

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن أفحم في مناقشاته علماء منطقة الكردستان جميعاً . فسمّوه بـ « سعيد المشهور » ، ثم ذهب إلى « بتليس »[1] ومنها الى مدينة « تيلّو »[2] حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا . وحفظ هناك (قاموس الفيروزآبادي) إلى حرف (السين) .

وفي سنة (١٨٩٢ م) ذهب « الملا سعيد » الى « ماردين »[3] حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة . ويجيب عن أسئلة الناس، ثم وُشِي به إلى الوالي . فأصدر أمراً بإخراجه . وسيق الى « بتليس ». فلما عرف واليها

(١) بتليس : ولاية ومدينة قديمة من أقدم مدن الكردستان الغربية . المصحّح . .

(٢) تيلّو : ناحية من ولاية (سعرت) الكردية ، فيها مقابر كبار الأولياء . منهم : الشيخ ممدوح ، والسلطان فقير الله ، وخليفته الشيخ إبراهيم حقي ، وغيرهم رحمهم الله . المصحّح . .

(٣) ماردين : من ولايات الكردستان الجنوبية . . المصحّح . .

حقيقة هذا الشاب العالم ، ألحّ عليه أن يقيم معه . وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية خاصة في علم الكلام والمنطق ، وكتب التفسير والحديث والفقه والنحو ، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم ثمانين متناً. وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الجليل الشيخ « محمد الكُفْرَويّ »[1] .

وفي سنة (١٨٩٤ م) ذهب إلى مدينة « وان »[2] وانكبَّ فيها بعمق على دراسة كتب (الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ) ، حتى تعمق فيها الى درجة إفحام الأساتذة المختصين . فسمّي لأول

---

(١) الشيخ محمّد الكفرويّ : من مشاهير مشايخ الأكراد ، في الطريقة النقشبندية ، ومن خلفاء السيّد طه النِهْريّ الكرديّ قدّس الله أسرارهم . المصحّح . .

(٢) وَانْ : مدينة كانت مركز كردستان الدارسة ، أقام بها الإمام بديع الزمان لنشر علوم الإسلام ، خمسة عشر عاماً . المصحّح . .

مرة بـ (بديع الزمان) اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد جداً، وعلمه الغزير .

وفـي هذه الأثنـاء قرأ (بـديع الزمـان) في الصـحف المحلية ان وزير المستعمرات البريطانـي « غلادستـون » صرح في مجلس العموم البريطانيّ وهو يخاطب النـواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً :

« ما دام هذا القـرآن بيد المسـلمين ، فلن نستـطيع أن نحكم المسلمين . . لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود ، أو نقطع صلة المسلمين به » .

زلزل هذا الخبر كيانه ، وأقضّ مضجعه ، وأدرك بذكائه وحسّه الإسلامي أن المسألة جد ، وأن الغرب مقدم على هجوم مخطط شامل على الإسـلام والمسلميـن . فشـد الرحال إلى (إسطنبول) عام (١٨٩٦ م) وقـدّم مشروعـاً

لإنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول[1] تقوم بمهمة نشر حقائق وعلوم الإسلام ، ودعوة المسلمين إلى التقدم العلمي ، والاهتمام بترقية حياتهم المادية والمعنوية ، إلاّ أنه لم يجد العون من المسؤولين ، فرجع خائباً إلى الشرق[1] .

وفي سنة (١٩٠٧ م) ذهب الى (إسطنبول) ، وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك ، فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة . فاعترف له الجميع بالإمامة ، وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحداً ، حتى إن أحد العلماء عبّر عن إعجابه الشديد فقال : إن علمه ليس كسبياً ، وإنما هو علم لدنيّ .

وفي (إسطنبول) يقابل السلطان (عبد الحميد)

(١) الشرق، أو شرق الأناضول : هي لفظة سياسية لتغطية اسم (الكردستان) يستعمله المؤرّخون الجدد ، على غير علم . . المصحّح .

ويقدّم إليه طلباً بفتح المدارس التي تعلّم العلوم الكونية الحديثة بجانب المدارس التي تدرّس العلوم الإسلامية ، حيث كان يعتقد بضرورة الدراسة المندمجة ، وعدم الفصل بينهما . ثم تظهر آراؤه في الإصلاح والدعوة الى الشورى الإسلامية، والعودة الى الشريعة ، سواء في مقالاته في الصحف ، أو مقابلاته مع المسؤولين ، أو تجواله بين النّاس .

وقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي الاتصال به وكسبه الى صفوفها إلاّ أن (بديع الزمان) يفوّت عليهم الفرصة ، ويصفهم بأنهم المعتدون على الدين ، والدائرون ظهورهم الى الشريعة .

وبعد قيام حركة الاتحاد والترقي وعزل السلطان (عبد الحميد) سنة (١٩٠٩ م) وثبوت تبعية الاتحاديين إلى الجمعية الماسونية اليهودية في سلانيك ، بدأ (بديع

الزمان) يهاجم الاتحاديين من خلال جمعية « الاتحاد المحمّدي » فألقي عليه القبض . وقدّم إلى محكمة عسكرية بدعوى مطالبته بالعودة الى الشريعة ، وفي المحكمة ألقى دفاعاً جريئاً صريحاً بليغاً أدّى إلى تبرئته وإطلاق سراحه .

وبعد براءته من المحاكمة رجع الى « وان » حيث بدأ بإلقاء دروسه ومواعظه، مؤلّفاً كتاباً أسماه بـ (المناظرات)[1] .

وفي سنة (١٩١١ م) ذهب في زيارة إلى بلاد الشام وألقى خطبة علمية بليغة دعا فيها المسلمين الى اليقظة والنهوض والتمسك بالإسلام العظيم . ولقد طبعت باسم

(١) المناظرات ، أو رجتة الأكراد: كتاب ألّفه بديع الزمان في أوّل عهد اشتغاله بالسياسة الإسلامية . يعالج فيه بعض مشاكل المسلمين من الأكراد وغيرهم ، على ضوء الإسلام . . المصحّح . .

(الخطبة الشّامية) : ومن دمشق ذهب الى بيروت ، فإسطنبول. وقابل السلطان (رشاد) ، فعرض عليه مشروعه القديم بتأسيس جامعة إسلامية في الشرق . فوعده السلطان والحكومة العثمانية وعداً قاطعاً بذلك ، غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ المشروع .

وعلى الرغم من معارضة (الأستاذ سعيد النورسي) لدخول الدولة العثمانية الحرب ، غير أنه لما أعلنت اشترك هو وتلاميذه الثلاثمائة في مدرسته، في الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس . وعندما دخل الجيش الروسي مدينة « بتليس » كان (بديع الزمان) يدافع مع تلامذته عن المدينة دفاعاً مستميتاً ، حتى جُرِح جرحاً بليغاً ، وأسر من قبل الروس . وذهبوا به الى سيبيريا .

وفـي الأسـر وقعـت له حادثـة كادت أن تودّي به إلـى الإعدام ، وهي عدم قيامه للقائـد العـام الروسـي ، عنـد مروره امامه . وقد سأله القائد عن سبب ذلك ، فقـال : انني اعتزّ بديني . وتلك العزّة تمنعني ان أقوم لأحد .

فأمـر القائـد بتقديمـه الـى محكمـة عسـكرية خاصـة لمحاكمته ، فحكمت عليه بالاعدام . وعندما يطلب منـه قبل التنفيذ أن يتراجع ويعتذر للقائد ، يرفض رفضاً قاطعاً ، ويستأذن منهـم ان يؤدّي ركعتين . فعندئـذ يكبـر في نظـر القائد ، فيأتي إليه معتذراً قائلاً : لقد ظننـت أنـك قمـت بعملك قاصداً إهانتي ، ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما تأمـرك به عقيدتـك وإيمانـك . لذا فقـد أبطلـت قرار المحكمة ، وإننـي أهنّئـك علـى صلابتـك في عقيدتـك ، وأرجو المعذرة مرة أخرى .

وبعد أن مكث (سعيد النورسـي) في الأسـر حوالـي

سنيتن ونصف السنة ، هرب منه بأعجوبة ، إثـر حدوث الثورة على القيصرية . فوصل الى ألمانيا ثم عاد منها إلى (اسطنبول) . فعيّن عضواً في « دار الحكمـة الإسـلامية » سنة (١٩١٨ م) وكانت عضوية الدار يومئذ لا توجّـه إلاّ لكبـار العلمـاء ، وكان أحـد أسبـاب تعيين (النورسـي) اطلاعه الواسع على العلوم الحديثة .

وقد خصّصت له الحكومة راتباً كبيراً كان يأخذ منه قدر حاجته . والباقي كان يطبع به كتبه الإسـلامية . فيوزّعهـا مجاناً على النّاس .

وبعد دخول الجيوش الاستعمارية إلـى (اسطنبـول) أحسّ « النورسي » أن طعنـة كبيرة وجّهـت إلـى العالـم الاسلامي . ولذلك شمّر عن ساعد الجد ، فبـدأ بتـأليف كتاب أسماه بـ « الخطوات الست » وأخذ ينشره بمساعدة أتباعه وأصدقائه وطلابه سراً بين النّاس . وقـد هاجـم فيه

الإنجليز والمستعمرين بشدة . ودعا إلى الجهاد والنضال ضدهم . وحارب اليأس الذي استولى على كثير من النّاس .

وعندما قامت حركة المقاومة ضد المحتلين في (الأناصول) أصدر مع مائة واثني عشر مفتياً وعالماً فتوى بتأييد الحركة . ولشهرته وجهاده ضد اعداء الإسلام، دُعي من قِبَل حكومة أنقرة عدة مرات . فتوجه إليها سنة (١٩٢٢ م) حيث استُقْبِل في المحطة استقبالاً حافلا . ولكن سرعان ما خاب ظنه في رجالات الحكومة ، إذ وجد أن معظمهم لا يصلون ولا يؤدّون الفرائض الدينية ، ولا يهمّهم من أمر الإسلام شيء . بل يريدون إبعاد (تركيا) عن الإسلام نهائياً . فوجّه إلى المجلس خطاباً مؤثراً بدأه بقوله :

« أيّها المبعوثون ، إنكم مبعوثون ليوم عظيم» . فرجع

على أثره خمسون نائباً إلى أداء فريضة الصّلاة ، فأزعج هذا (مصطفى كمال) ، فحدثت بينهما مشادة عنيفة ، قرر الباشا على أثرها إبعاده إلى شرق الأناضول عن طريق تعيينه واعظاً عاماً هناك ، ولكن (النورسي) رفض أن يذهب . فظل في انقرة يؤلف بعض الرسائل في إثبات وجود الله وترسيخ العقيدة الإسلامية ، لمقاومة الانحراف الذي بدأ يدخل في المجتمع نتيجةً لتأثر أبنائه بالمذاهب المادية التي جاءتهم من الغرب .

بعد ثمانية أشهر قضاها في أنقرة قرر التوجه إلى مدينة « وان » في سنة (١٩٢٣) م . وكان يقضي أيّامه في خرائب كنيسة قديمة مهجورة على جبل « أرك »[١] متعبداً متأملاً . ومع ذلك فإن الحكومة لم تطمئن لوجوده طليقاً .

(١) جبل أرَكْ : جبل مطلّ على مدينة (وان) اعتكف فيه الإمام النورسيّ بعد الانقلاب الجمهوريّ ، ثمّ نفي منه ، إلى الأناضول .. المصحّح ..

فأرسلت ثلة من الجند اعتقلته ونقلته إلى « إسطنبول » ومنها الى مدينة « بوردور » فـ « بارلا » وهي قرية نائية . وكان الحكام يومئذ يعتقدون انهم بنفيهم (الأستاذ) قد قضوا عليه وعلى طاقاته في قيادة حركة مقاومة الإلحاد والاستبداد ومحاربة الإسلام ، لكنهم كانوا مخطئين ، إذ غدت هذه المنطقة النائية مصدر إشعاع كبير للإسلام . ففيها كتب (الأستاذ) رسائله العظيمة في بيان حقائق الإسلام ، ومعارضة التيّارات الملحدة والمشكّكة ، ودعوة المسلمين الى المحافظة على عقيدتهم وإسلامهم .

ولقد تسربت هذه الرسائل بطريقة مدهشة عبر قنوات كثيرة واستنسخت منها ألوف النسخ . وانتشرت من أقصى تركيا الى أقصاها . فنبّهت النّاس الى حقيقة قضية الإسلام مع أعدائه ، وأنقذت الكثيرين من المخطط الفكري الرهيب لفصل المسلمين عن عقيدتهم وحضارتهم

وتراثهم ، والذي شن على الإسلام بذكاء وتخطيط اشتركت فيه أجهزة الإعلام كلها .

وفي سنة (١٩٣٢ م) صدرت الأوامر بمنع الأذان باللغة العربية ، إلاّ أن (الأستاذ) وجمعاً من طلاّبه لم ينفّذوا هذا القرار . فكانوا يؤذّنون داخل المسجد باللغة العربية. فاكتشفت السلطات هذا. فشنت حملة اعتقالات واسعة شملت (النورسي) نفسه، فقدم إلى محكمة مدنيّة.وحكم عليه بالسجن احد عشر شهراً . وبعد قضائه هذه المدة نفي الى « قسطموني » سنة (١٩٣٦ م) حيث بقي فيها شبه سجين ثماني سنوات ، مستمراً في كتابة « رسائل النور » التي انتشرت بسرعة عجيبة في كل مدينة وقرية . ولقد كان انتشار هذه الرسائل مصدر إزعاج شديد للدولة . ولذلك فإن « النورسي » قد قضى معظم حياته ينتقل من محكمة الى محكمة ، ومن سجن إلى سجن ،ومن منفى إلى منفى . وكان يلقي في كل مرّة أمام المحاكم دفاعاً

بليغاً مفحماً بالمنطق ، مسنداً بالأدلة ، عارضاً مأساة الإسلام والمسلمين بكل قوة وشجاعة .

ولعلَّه قد بلغ أقصى مدىً في أحد دفاعاته ، في أخريات أيّـامه عندما قال :

« ألاَ فلتعلموا جيّداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسـي من شعـر ، وفُصِـل كلٌ يوم، واحـدٌ منهـا عن جسـدي ، فلن أحني هذا الـرأس الـذي نذرتُـه للحقائـق القرآنية ، أمام الزندقة والكفر المطلق ، ولن أتخلّى بحـال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية» .

واستمر على هذه الحـال الـى سنـة (١٩٥٠ م) حيث جرت أول انتخابـات حرّة في البـلاد اتـت بالحـزب الديمقراطـي الـى الحـكم ، الـذي بدأ يخفّف الحملـة الوحشية التي شنت على الإسلام ربع قرن كامـل ، حيث سمح لرسائل النور بالطبع والنشـر ، وللنورسـي بالحـركة

المحدودة بين المدن التركية في الأناضول . .

وظل « الإمام النورسي » نشيطاً في توجيه وتربية تلاميذ النور ، يكتب لهم ويرشدهم ويشرف على طبع رسائله وكتبه بنفسه ، حتى وفاته في السابع والعشرين من رمضان سنة (١٣٧٩ هـ) (٢٣ آذار سنة ١٩٦٠ م) .

تراث النورسي رضي الله عنه :

اشتهر (بديع الزمان سعيد النورسي) بتأليف رسائل في موضوعات العقائد الإسلامية ، سماها (رسائل النور) . ومن المؤكّد : ان ثقافة (الإمام النورسي) الواسعة وهضمه المعارف الإنسانية في عصره ، وذكاءه الحاد ، وقدرته على التأمل العميق ، هو الذي حدّد الطريق أمامه لإملاء تلك الرسائل التي استلهمها من (القرآن الكريم) مباشرة ، دون أن توجد عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها، لأنه كان في سجن وتشريد ونفي مستمر ،

ولأنّه كان لا يطالع في عهد « سعيد الجديد » إلاّ القرآن الحكيم فقط . . .

ويتجاوز عدد هذه الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية . وهي موزّعة على الوجه الآتي :

١ ـ المقالات : وتضم (٣٣) رسالة (مقالة) في (٦٥٠) صفحة .

٢ ـ المكتوبات : وتضم (٣٣) مكتوباً في (٤٥٠) صفحة .

٣ ـ اللمعات : وتضم (٣١) لمعة في (٤٣٠) صفحة .

٤ ـ الشعاعات : وتضم (١٥) شعاعاً في (٦٤٠) صفحة .

٥ ـ ملاحق ، مثل ملاحق (بارلا) ، وملاحق (قسطموني) في (٢٠٤ صفحات) ، وملاحق (امرداغ) في جزئين (٥٠٤ صفحات) .

٦ ـ وهناك رسائل اخرى في مسائل إسلامية دقيقة ، أو في

الدعوة لتثبيت تلامذته ، كانت سرّية تتداول بينهم . ثم كشفت وطبع بعضها في مجلد مستقل في (٢٢٠ صفحة) بعنوان ختم التصديق الغيبي .

٧ ـ وهناك رسائل اخرى مستقلة في كتب صغيرة منها : (المدخل الى عالم النور ، ومفتاح النور ، والمحاكمات ، وسيرة ذاتية) .

٨ ـ رسائل كتبها باللغة العربية وهي (١٥) رسالة أهمها :
(أ) المثنوي النوري .
(ب) إشارات الإعجاز في مظان الايجاز .

والجدير بالذكر أن تأليف (رسائل النور) جميعها استغرقت الوقت من سنة (١٩٢٦ م) إلى سنة (١٩٥٠ م) .

وقد يسأل سائل فيقول : ما السبب الذي دفع

(النورسي) لتأليف هذه الرسائل ؟ فنقول في جواب ذلك :

إن (النورسي) شعر أنه في عصر جديد ، جديد في أفكاره ، وجديد في أساليب التعبير عنها ، ولذلك فقد كثرت انماط التحديات والهجمات الفكرية على العقائد الاسلامية ، بقصد تشكيك المسلمين في دينهم وقرآنهم ومقدساتهم . فأدرك (النورسي) أن مواجهة هذه الموجات العنيفة الحديثة لا يمكن ان تفيد فيها أساليب الكلاميّين القدماء ، وإنما تحتاج إلى أسلوب جديد منطقيّ في أساسه ، علميّ في أدلته ، منسجم مع روح العصر ، معبّر عنه بأسلوب واضح قريب إلى القول .

وقد أجاب هو على سؤال وُجِّه إليه بهذا الخصوص ، فقال : إن مصنّفات اغلب العلماء السابقين ، والكتب القديمة للصالحين تبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه ،

وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى ، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحدٍّ واضح ، ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه ، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة .

أما الآن فإن هناك هجوماً جماعياً منظّماً عنيفاً على أركان الايمان وجذوره ، لا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب ، أن تقف أمام هذا التيار القوي ، ولا أن تقاومه وتصده .

أما (رسائل النور) فلأنها معجزة من معجزات القرآن العظيم فإنها تقوم بإنقاذ الإيمان وإثباته بإقامة البراهين الساطعة والدلائل العدة لإثباته .

ولقد صدق من وصف رسائل النور بأنها « تنوّر هذا العصر والذي يليه، وتخاطب الانسانية قاطبة بحقائق القرآن الكريم . فتستجيب لكافة حاجات الإيمان

والإسلام والفكر والروح والقلب والعقل بما يشبع كلاً منها » .

ويلخص (النورسي) هدف رسائله بأنه :

« كتاب شريعة وعقائد ، وكتاب دعاء وحكمة، وكتاب عبودية ودعوة ، وكتاب حق وحقيقة ، وكتاب منطق وعلم كلام ، وكتاب حث على العمل ، وإلجام للمعارضين وإسكات لهم ».

والمدقق في هذه الرسائل يستطيع بكل وضوح أن يعتبرها تفسيراً للقرآن الكريم ، ولكنه ليس من نوع تفسير الألفاظ والتراكيب ، وإنما من نوع إثبات حقائق ومعاني الآية الكريمة بتوضيح وبيان تلك الحقائق.

وأما أسلوب هذه الرسائل فنراه ليناً رقيقاً جداً ، حتى نكاد نشعر انه همسات قلب ، أو أنفاس رقيقة . ونراه أحياناً أخرى اسلوباً علمياً دقيقاً ذا عبارات منطقية فطرية

تستدعي تركيزاً فكرياً . وينقلب الأسلوب في حالة الدفاع أمام المحاكم إلى أسلوب قوي هادر كالأمواج المتلاطمة .

ومن مزايا رسائل النور :

(١) الأسلوب الأدبيّ الرفيع غير المتكلف مع الإيجاز دون الإطناب .

(٢) ضرب الأمثال بكثرة تلفت النظر ، وذلك لتقريب المفاهيم الإيمانية إلى الأذهان .

(٣) التركيز على معاني الأسماء الحسنى ، وإظهار تجلّياتها على جميع الموجودات ، وحلّ كثير من المعضلات على نورها .

(٤) رد الشبهات عن الإسلام دون ذكر الشبهة نفسها .

(٥) إيراد الأمثلة الواقعية والعلمية المبسطة بحيث يفهمها الجميع .

أساس حركته . .

تقوية الإيمان والتطهير الروحي :

لاحظ (الإمام النورسي) وهو الذي عاصر أخطر فترة انتقالية في حياة المسلمين ، وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر: ان المجتمع الإسلامي ينحدر في مظاهر حياته كلها انحداراً سريعاً . واكتشف ان غزواً فكرياً منظَّماً يشن على العقيدة الإسلامية ، ابتداء من الدوائر الاجنبية ، إلى صحافة الاتحاد والترقي ، وأجهزة إعلام الانقلابات الكمالية .

لقد تأكّد (الإمام النّورسي) أن الإسلام أصبح في خطر أكيد ، وأنه لا بد من تقوية الإيمان ، بل إنقاذه امام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطق العقلي والحقيقة العلمية .

ولقد ساعدته دراساته العقلية الرصينة ، واطلاعه

الواسع على تطوّر العلم الحديث في محاولة ذلك الإنقاذ .
فبدأ بتأليف الرسائل والكتب في مناقشة شبهات القوم ، وإثبات حقائق الإيمان بأسلوب علميّ عصريّ قريب الى روح العصر ، وفهم الناس جميعاً .

وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة واعداء الأمة ، وذلك لإدخال الشك في عقول الجيل الحديث ، فيردّ عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلاّ نادراً .

ومن هنا فإننا نرى أن كتابات (النورسي) تمثّل الصراع الفكريّ في عصره تمثيلاً تاماً ، وتضع الأسس الفكرية لتنشئة جيل مؤمن يعرف كيف يتعامل مع العصر ؟ .

ولقد أكد (الإمام النورسي) في كتاباته على القضايا العقيدية الكبرى الثلاث (وجود الله ووحدانيته ، والنبوّة

العامة والخاصة ، واليوم الآخر وما يتعلق به من أمور غيبية) .

طريقته للمحافظة على الإسلام :

رأى (الإمام النورسي) بأم عينيه أن حرباً ماكرة تشن من قبل الدوائر المادية والاستعمارية على الإسلام ، تريد النيل من عقيدته ، وتقتلع جذوره من نفوس المسلمين وعقولهم . فاقتنع ان علم الكلام القديم المبنيّ على مقدّمات عقلية مركبة معقدة ، سار في طريق طويل جداً ، غير مأمون العاقبة في هذا العصر خاصة . ولذلك فإنه حاول ان يخطط لعلم كلام جديد مبني على القرآن الكريم ، يستقي منه مباشرة دون الخوض في مصطلحات عقلية غامضة ، **ذلك لأن القرآن عرض الأدلة العقلية الفطرية في إثبات حقائق الوجود ، قائمة على براهين عقلية**

منطقية واضحة جداً ، ولكنها لإيجازها البليغ قد تخفى على بعض النّاس .

ومن هنا فإنه حشد معارف عصره العقلية والعلمية لتوسيع مداليل الأدلة القرآنية بطريقة عصرية وأسلوب حديث خلط فيه العقل بالقلب حتى يحدث تأثيره المطلوب في الجيل الجديد . وعلى ذلك فقد أوجد (الإمام النورسي) علم كلام قرآني بمعنى هذه الكلمة كله . فكان ذلك سبباً مهماً في نجاحه العظيم في المحافظة على العقائد الإسلامية السليمة وتركيزها في قلوب الناشئة ، ورد الشبهات المعاصرة بالمنطق العقلي القرآنيّ الواضح .

وكان سلاحه في ذلك كله هضمه لحقائق القرآن الكريم ، وذكاؤه الحاد في التأمل العميق في مشاهد الكون ، واستخراج الامثال واللفتات التي تثبت وتوضح الدليل القرآني ، فتدخله إلى العقول والقلوب معاً .

واستطاع (الإمام النورسي) أن ينقل علم التوحيد من نظريات فكرية مجرّدة، يفهمها الخاصة إيماناً عقلياً مجرداً ، إلى سلوك في الحياة ينفعل به العقل ، ويثير العاطفة، ويتحول إلى ممارسة يومية ، يحدّد خط السير المستقيم للإنسان المسلم ، ويحول بينه وبين الوقوع في الحرام .

إن علم الكلام استطاع في فترات الجدال العقلي بين الخاصة ، أن ينقذ الإيمان العقلي ، ولكنه لم يستطع ان يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية تحقق المعنى الحقيقيّ لعبودية الإنسان لربّ العالمين .

أي أن علم الكلام لتأثره الواضح بالمنهج الفلسفي الجاف لم يستطع أن يتحول الى مدرسة للتربية الاجتماعية ، ولذلك نرى أن مجرد إيمان المسلمين بالله ، لم يستطع أن ينقذ سلوكهم في العصور الأخيرة من الكارثة

الكبرى التي أدّت إلى انحدارهم وفقدان حقائق التـوحيد من حياتهم .

إن (الإمـام النورسـي) استطـاع أن يحـدّد المـرض الخطير في جسم الأمة ، ثم عالجها معالجة قرآنية . فحوّل عقيدة التـوحيد إلـى حياة مفعمـة بمعانـي الإخـلاص والاستقامة والتضحية والسلوك ، وحصّن تلامذته والجيل الجديد بقاعدة إيمانية صلبة ، الحقت الهزيمة في بيئات كثيرة بالمذاهب المادية والأفكار الإباحية التي كانت تريد تحريف الإنسـان المسلـم عن خط سيره الـذي رسمـه له القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة .

موقفه من الاجتهاد . .

أما موقف (الإمام النورسي) من حركة الاجتهـاد فقـد كان رد فعل عنيف لحركة التغريب التي أرادت أن تصبـغ المجتمـع الاسلامـي بصبغـة الحياة الأوربية جملـة

وتفصيلاً . فرأى ان الدعوة الى الاجتهاد في مثل هذا الجوّ الذي لم يبق لضوابط الإسلام فيه أية قيمة ، أمر لا معنى له . إن أي نوع من أنواع الاجتهاد ، سيجري في داخل ضوابط الحياة الغربية الحديثة . إنّ من المنطقي أن كل فلسفة لها أسسها وقواعدها . ومعالجة أية قضية تتفرع منها لا يمكن ان تتم إلاّ في إطارها .

لقد رأى (الإمام النورسي) أن بعض العلماء الذين لا يحملون أيّ شرط من شروط الاجتهاد يسوغون كل التطورات غير الدينية التي جرت في تركيا باسم الاجتهاد .

إن (الإمام النورسي) مقرّ بأن باب الاجتهاد مفتوح ، ولكنه يحكم ان هناك موانع تحول دون الدخول إليه في الوقت الحاضر .

أولها : إن فتح أبواب جديدة في قصر الإسلام المنيف ، أو فتح الثغرات التي هي وسيلة لتسلل

المخربين ، وبالأخص في زمن المنكرات الذي غلبت عليه العادات الاجنبية والبدع ، وفي عصر تخريبات الضلالة الرهيبة ، فإنه جناية في حق الإسلام .

ثانيها : إن الاشتغال بتقوية أصول الإيمان، وما هو قطعي وثابت بالنصوص التي تعرضت إلى التشكيك والتخريب، أفضل من الانشغال بأمور نظرية جزئية، لأن العقائد الإسلامية وأصولها التشريعية غدت في خطر كبير ، فما فائدة الحديث عن الفروع ؟!

ثالثها : إن تحكم الفلسفة المادية ومظاهر الحضارة الغربية في حياة المسلمين اليوم أقحمتهم في هذه الحياة الدنيا وأنستهم رضى الله سبحانه وتعالى ، وبذلك فإن أيّ حديث عن الاجتهاد في مثل هذا الجوّ لا يكون مبنياً إلاّ على أسس بعيدة عن الورع والتقوى .

موقفه من التصوف . .

كان (الإمام النورسي) زاهداً ، يدعو إلى تطهير النفس ، والإخلاص لله ، وإنقاذ الايمان من مخاطر الآراء والفلسفات المادية ، ولكنه لم يكن صوفياً صاحب طريقة . بل كان يعتقد أن عصره هو عصر إظهار حقائق الإسلام ، وتقوية الأيمان أمام الغزو الثقافي الفكري المركّز الذي شنته الدوائر الاستعمارية في ظل حراب جيوشها على الأمّة الإسلامية .

وفي رسالته حول « الولاية والتصوف » انتهى إلى أن هذه الدنيا دار حكمة وعمل وسعي ، وليست دار جزاء وثواب ، لذا فلا تطلب فيها اللذائذ والأذواق المعنوية ، ولا يقصد فيها الكرامات ، وإنما ينبغي فيها الالتزام بالشريعة ، لأن الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة .

ولقد أجاب (الإمام النورسي) على السؤال عن وحدة

الوجود ووحدة الشهود ، بحجج قوية منطقية ، مع احترامه الكبير لشيوخ التصوف الصادقين الملتزمين بالكتاب والسنة من أمثال (الإمام الغزالي ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشاه النقشبندي ، وأحمد السرهندي الفاروقي المشهور بالإمام الرّباني) رضي الله عنهم . .

موقفه من الحضارة الغربية . .

(الأستاذ النورسي) من منطلق كونه مفكّراً إسلامياً يرفض الأسس الثقافية في الحضارة الغربية اعتباراً من عصر اليونان إلى اليوم ، إذ نلاحظ في رسالته (أنا) تحديداً رائعاً للفلسفات اليونانية كلها ، وتبيان تفاهتها أمام استاذية القرآن الكريم ، والمنهج العلمي الاستقرائي والقياسي الذي وضعه لفهم حقائق الوجود . ويحدّد موقف الإسلام بدقة ، ممن انجرف معهم من الفلاسفة المسلمين (كالفارابيّ وابن سينا) قائلاً :

إن هؤلاء الأذكياء لم ينالوا سوى أدنى درجة من درجات الإيمان .

ويحاول في رسائله كلها قطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الإسلامية المعاصرة ، لأنها انطلقت من تلك المبادىء المادية الجاحدة ، والتي أوجدت حالة من القلق والفوضى الفكرية والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي مستغلاً تأخر المسلمين وجهلهم بدينهم ، بعد أن يفصل الفلسفة الخادمة للدين ، من الفلسفة المادية الجاحدة .

وأما موقفه من الجوانب العلمية من الحضارة الغربية : فهو موقف المسلم الذي فرض عليه إسلامه أن يتحرك لاكتشاف قوانين الحياة والاستفادة منها لإقامة الحضارة وبناء التقدم . فموقف (الإمام النورسي) يتلخص في أنه دعا المسلمين الى الأخذ بأسباب الحضارات الصناعية ، لأنها من

ضرورات إقامة الحياة القوية .

ويذهب (الأستاذ رضي الله عنه) إلى أن مجيء الحضارة من الغرب وأهله غير مسلمين ، لا يكون دليلاً على حرمة الأخذ بها .

يقول :

« . . . فاقتباس ما استحسن من أمور اليهود والنصارى التي تقدموا فيها من وسائل حضارية لا تدخل ضمن النهي القرآني : « لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارىٰ أَوْلِيَاء » .

الدكتور محسن عبد الحميد

تآليف الأستاذ الإمام العلاّمة
بديع الزمان سعيد النورسي رضي الله عنه

تآليفه في عهده القديم المعروف بعهد سعيد القديم ، حسب تعبيره نفسه . . .

فالقسم العربي منها :

(١) تفسير (إشارات الإعجاز ، في مظان الإيجاز) الجزء الأول فقط ، المؤلَّف في جبهة الحرب العالمية الاولى . ولم يؤلَّف سائر الأجزاء . فبقي ناقصاً مع الأسف . . .

(٢) صيقل الإسلام : اختصره المؤلف من كتابه (المحاكمات البديعية) . كتاب قيمٌ وصعب جداً . . .

(٣) رچتة العـوام ، أو رچتة الأكراد . اختصره من كتابـه (المناظرات)المؤلَّفة بالتركية لتـوجيه أطبـاء السياسـة ، ولإرشاد عوام المسلمين في الأمور الاجتماعية . . .

(٤) التعليقات على الكَلنبوي في المنطق . وهي مفقودة مع الأسف ، إلاّ عدّة صفحات . . .

(٥)قزل إيجاز : (الإيجـاز الأحمـر) على متـن السلّـم في المنطق . لم يكمل مع الأسف . . .

(٦) الخطبة الشامية : محاضرة علمية مهمّة تلقي الضوء على مستقبل الإسلام . . .

(٧) مجموعة المثنويّ العربي النوريّ تحتوي على سبع عشرة رسالة في إثبات حقائق الايمان ، وبيان شتى مسائل الإسلام . وهي أقرب من عهد السعيد الجديد . . .

(٨) الخطوات الست : عرّبها المؤلّف ، من أصلها التركي . تفشي دسائس العدوّ المحتلّ . . .

والقسم التركي منها :

(١) نقطة من نور معرفة الله ،، رسالة عديمة النظير في إثبات التوحيد ووجوب الوجود . . .

(٢) شعاعات معرفة النبيﷺ . وهي وحيدة في بابها أيضا . . .

(٣) طلوعات . . .

(٤) سنوحات مع ذيلها . . .

(٥) إشارات . .

(٦) رموز : وهذه الرسائل الأربع تعود إلى مسائل متفرقة إسلامية واجتماعية . . .

(٧) خطوات ست : تفضح دسائس العدو المحتل لمركز

الخلافة الإسلامية . . .

(٨) المحاكمات : في تصقيل أحكام الإسلام ، ما جادت بمثلها يد الزمان . . .

(٩) المناظرات : توجّه أطباء السياسة ، وترشد عوام المسلمين ، خاصّة الأكراد منهم . . .

(١٠) إيكي مكتب مصيبت شهاد تنامه سي : (شهادة مدرستي المصيبة) . وهي دفاع المؤلف أمام المحكمة العرفية في حادثة الحادي والثلاثين من آذار ، عام (١٩١٠ م) . . .

(١١) نطقلر : (المحاضرات ، أو الخطابات) تدور حول الحرّية في وجهة الشريعة الإسلامية . . .

(١٢) مقاله لر: (المقالات) مقالات له نشرت في جريدة (ڤولقان) في بيان الحرية الشرعية . . .

(١٣) رسالة اللمعات : رسالة أدبية خارقة شبيهة بالمنظوم ، حول حقائق الإيمان ، ومشاكل المجتمع . . .

ونرجو من الله تعالى أن يوفقنا لترجمة هذه الرسائل القيّمة ، إلى العربية . إنّه وليّ التوفيق . . . .

وقد جمع أمير كرديّ من تلامذة النور ، هذه الرسائل الثلاث عشرة ، تحت عنوان « الآثار البديعية » وطبعها في مجلّد ضخم جزاه الله خيراً كثيراً . .

تآليفه رضي الله عنه ، في عهد السعيد الجديد كما يعبر عن نفسه :

وهي كلّيات رسائل النور التي تشرح حقائق الإيمان ،

وتبين إعجاز القرآن . وهي عبارة عن مئة وثلاثين رسالة أُلفت باللغة التركية . وهي على الوجه التالي :

(١)سوزلر مجموعه سي : (مجموعــة المقــالات) ، ثلاث وثلاثون مقالــة تبـين الحقائـق الإيمـانية والإسـلامية ، وتثبتها ببراهين قاطعة ، وحجج ساطعة ، على المنهـج القرآني . وهي رسائل نيرّة قيّمة لـم يُوفَّق لتأليف مثلها ، لا السابقون ولا اللاحقون . وقد ترجمـت إلى العـربية بتـوفيق الله تعـالى . وهـي تحـت التبييض . والله وليّ التوفيق . . .

(٢) مكتوبات مجموعه سي : (مجموعة المكتوبات) ، ثلاثة وثلاثون مكتوبـاً ، تشرح مسائـل إسـلامية اجتماعية ، وتكتشف بعض حقائق إيمـانية غامضـة ، لـم يكشفهـا قبله ، أيّ محقق ومتبحّر . وقد تُرْجِمت إلى العربية . وهي تحت الطباعة بحمد الله تعالى . . .

(٣)لمعه لر مجموعه سي : (مجموعة اللمعات) ، إحـدى وثلاثون لمعة ، يبحث معظمها عن حقائق التـوحيد ،

وأسرار الايمان ، ويردّ على أفكار الإلحاد والطبيعة .
وقد ترجمت إلى العربية . وهي تحت الطباعة أيضاً بحمد الله تعالى . . .

(٤) شعاعلر بجموعه سي : (مجموعة الشعاعات) ، ستة عشر شعاعاً . ومعظمها يبين حقائق الإيمان ، ويثبتها بالحجج البالغة والبراهين الدامغة . وقد ترجمت إلى العربية بتوفيق الله تعالى . ولم تبيّض بعد .

(٥) لاحقه لر : (اللواحق) ، مراسلات خاصة بين مؤلف النور وتلاميذه ، لتوجيههم إلى خطّ الاعتدال والاستقامة في الحركة النورية ، وإيقاظهم للتحذر أمام دسائس شياطين الإنس والجّن . . . وهي ثلاثة أقسام . . .

القسم الأول : (لاحقة بارلا) تعود إلى الفترة

الأولى من الخدمة النورية . . .

القسم الثاني : (لاحقة قَسْطَمُوني) تعود إلى الفترة الوسطى من نشر الأنوار بالأقلام . . .

القسم الثالث : (لاحقة أمرداغي)وهي قسمان يبحثان عن توجيه سير حركة النور ، ونتائجها وفتوحاتها وانتشارها بالطباعة ، وعن دقّة المراحل التالية لوفاة المؤلّف ، وانكشاف الدعوة الإسلامية ، والتوقي عن مكايد الأعداء الأخفياء في كل زمان ومكان . نعوذ بالله من شرورهم ودسائسهم . إنّه نعم المعيذ والمستعاذ . . .

وستترجم هذه اللواحق النورية ، إن شاء من بيده التوفيق وزمام التحقيق . والله وليّ التوفيق . إنّه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . . .

وقد نظّم الإمام النُّورْسيّ رضي الله عنه، رسائل النور، بعد انتهاء تأليفها، إلى مجموعات متعدّدة، حسب مواضيع معيّنة. وهي أربعون مجموعة بعضها صغيرة، وبعضها كبيرة . . .

ونذكر قسماً أهمّ منها :

١ ـ ذو الفقار : يحتوي رسائل وذيولاً في إعجاز القرآن، ومعجزات النبيّ ﷺ، وإثبات الحشر الجسمانيّ . .

٢ ـ عصا موسى : يحتوي أهمّ الدلائل والبراهين التوحيدية . .

٣ ـ الطلاسم : تجمع ما في رسائل النور من أسرار الإيمان، ورموز الكون . . .

٤ ـ سكّة التصديق الغيبيِّ : تحتوي إشارات الآيات

القرآنية ، ورموز الأحاديث النبوية ، والكرامات العَلَويّة والغَوْثية . .

٥ ـ **سراج النور** : جامع لثلاث وثلاثين مرتبة من الإيمان ، ولدفاع الإمام في محكمة (دَنِزْلي) وشرح عشرين مسألة من أشراط الساعة . .

٦ ـ **دليل الشبيبة** : في إرشاد الشبّان ، وإيقاظهم . .

٧ ـ **دليل السيّدات** : في بيان حِكَم الحجاب ، وإرشاد السيّدات . .

٨ ـ **المدخل الأوّل للنور** : دروس إيمانية ، في تفسير آيات قرآنية . .

٩ ـ **مفتاح لعالم للنور** : في أسرار التوحيد في تموّج الهواء ، باكتشاف جهاز المذياع (راديو) . .

١٠ ـ **رسالة الذرّات** : في أسرار التوحيد في حركات

الذرات وتحوّلاتها . .

أمّا المجموعات الباقية : فهي رسائل مفردة من رسائل النــور في مواضيع مخصوصـــة ، مع ما يناسبهـــا من الذيول . .

ونرجـو من رحمـة الله تعالـى أن يوفّقنـا لترجمـــة هذه المجموعات كلّها ، ولطبعها ونشرها حسب تنظيم الإمـام بعينه ، رضي الله تعالى عنه .

الفقير إلى الله الغنيّ :
محمد زاهد الملا زكرديّ

الاربعاء/ ٢٧/ تموز/ ١٩٨٣ م ـ ١٧/ شوال/ ١٤٠٣ هـ .
بيروت ـ لبنان . . .

فهرس رسالة العُجالة :

بديع الزمان: الأستاذ الرائد، والشجاع الذي يهابه الموت..

عاصم الحسيني

بديع الزمان: بكلمة واحدة معبِّرة: المجاهد..

الشيخ محمّد أمين قره علي

بديع الزمان: مجدّد القرن الرابع عشر الهجريّ..

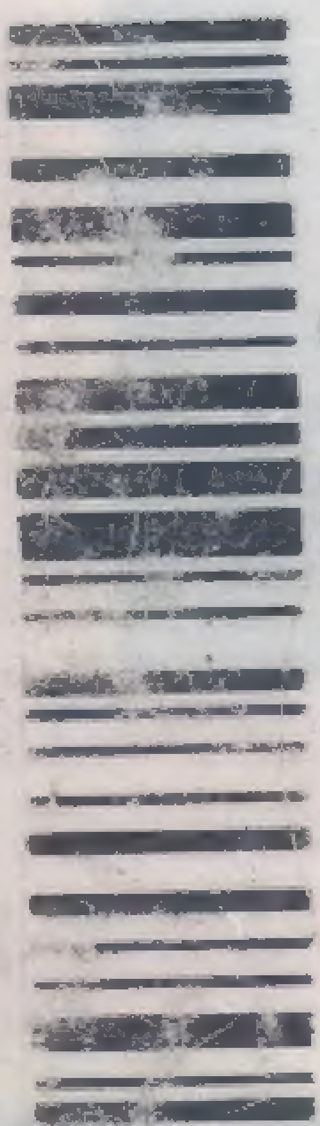
محمّد زاهد الملازكرديّ

بديع الزمان: الداهية الكبير، والمؤمن العظيم..

الدكتور محمد سعيد البوطيّ

بديع الزمان: رائد الفكر الإسلاميّ الحديث

الدكتور محسن عبد ا



منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت